

رسالة القومية الواعية والثقافة الحرة

العدد ٢٤ — السنة الاولى

القدس — الجمعه

٥ شعبان ١٣٦٥ - ٥ تموز ١٩٤٦

الارهاب والاستعمار

ان استمرار الارهاب في السابق ، وان العزم على وقفه الآن ، ليسا شيئاً يتنافى مع الاستعمار في صميمه ولا هو امر خارج عن الخطة الاستعمارية

(انظر كلمة العدد)

في هذا العدد

٣٥ ملا

خاطرة العدد

السندباد فى المحيط الهادى..

(ولما كانت الليلة الثانية بعد الالف)

قالت شهرزاد : بلغني ايها الملك السعيد ، ان السندباد البحري ، كان قد تزوج في سفرته السابعة ، احدى نساء الهنود الحمر في اميركا ، وان حب الاسفار وركوب البحار ، وخوض المخاطر ، قد تعاقبه الخلف عن السلف من ابنائه ، وان السفرة الثامنة قد وقعت في الاسبوع الاخير من الشهر الماضي ، وان هذه الرحلة ، لم تكن الى جزائر (واق الواق) ، ولا كان القائمون بها اناساً من تجار بغداد ، ولا كانت سفنها تسير بالشوارع ، ولا كان الذي يحوم حولها طير الرخ . وانما كانت الرحلة (الثامنة) الى جزائر بيكيني ، وكان المسافرون علماء اعلاماً ، والسفن من قواطع المحيط ، وطير الرخ من (القلاع الطائرة) . ولم يكن في هذه الرحلة من اعاجيب (السندباد) سوى بيضة الرخ ، التي صرف الاف العلماء ، السنين الطوال في دراستها وتركيبها ، وطريقة (فقسها) ، ونوع (السكتاكيت) التي ستنفلق البيضة عنها .

وكان رأي العلماء مجمعاً ، على ان هذه البيضة ، لن تتصدع عن (ديك رومي محشي) ، ولا عن فرخ رخ او عنقاء ، وانما ستخرج منها (أم قشعم) التي ستلتقط الكرة الارضية ، كما تلتقط الدجاجة حبة القمح ، ولا يبعد ان ترفرف باجنحتها ، وتحوم في فضاء الكون فتلتقط النجوم واحدة بعد الاخرى ، ترسلها في شره الى قانصتها (العزيزة) ، ولا يعلم الا الله متى تمتلىء تلك القانصة ، او متى تكف (ام قشعم) عن (تنقيرها)

وراحت الصحف تصف ما ينتظر هذا العالم المنكود ، وتشرح للناس تحول المحيطات الى قنابل ذرية ، وامواج حرارية ، واشعة كونية ، تحت البنفسجية ، وفوق الياسمينية ، وكثرت الاصفار امام الارقام ، وتعقدت المعادلات ، وداخل الصحفيون على الكيمياء مركباً جديداً من عناصر جديدة ، ارغموا العلماء على ادخاله تحت باب (الخيال الصحفي) ، واورده الدكتور طه حسين في شرح :

وخوفوا الناس من دهياء داهية
اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

غير ان امثالنا من عبادالله (اللي على البركة) لم يفهموا من تلك الامواج والاشعة والمعادلات ، الا ما سبق ان فهموه من : اتفاق وودز ، ومبادىء ويلسون الاربعة عشر ، والنطاق الاسترليني ، ومعاهدة سيفر ، ودستور الهند ، والجلاء عن مصر ، ومصير الامير عبد الكريم الريفي ، مما يدخل جميعاً في علم الاستعمار تحت باب (المحافظة على الحضارة) والذي لا نملك من فهم تفسيره ، اكثر من فهمنا لمعنى كلمة (شرم برم) او (تيكا تيكا ـ امر الله وحكم)

(قال الراوي) ثم كانت ليلة المحاق من الشهر ، واطلقت القنبلة الذرية ، فاذا العالم هو هو او فاذا هو اياها (على رأي الكسائي) واذا النتائج ان الارض اعقل من (ان تنتحر) ، واذا الطبيعة ترفض ان تنتج ما يدمرها ، رغم انف الراغبين ، واذا هي تلقي درساً (نموذجياً) على ابنائها ، بضرورة بذل الجهود في التعمير لا فى التدمير ، وبضرورة صرف الطاقة الذرية ، في الانتاج لا فى تحطيم السفن ، التي تتمنى دولة لبنان (البحرية) ان تكون لها واحده منها ، وتتمنى الشعوب التي وكل الى المستر (هوفر) امر توزيع الاغذية عليها ، ان تنقل هذه السفن المؤن ، وان تحمل مقومات الحياة ، بدلا من ان تسير فى جنازة نفسها ، وان تحمل ورقة (دفنها) فى المحيط الهادي .

قال السندباد البحري ، ولما لاح الصباح واشرق بنوره ولاح ، رأينا العلماء يتضاحكون ، وسمعت كبيرهم يقول : يأبى العلم ان يرجع القهقرى ، ويأبى العلماء ان يكونوا جلادين ، (والله متم نوره ولو كره الكافرون)

وقالت شهرزاد : بلغني ايها الملك السعيد ان الفرخ الذي تفلقت عنه البيضة ، كان قوي القوادم متين الخوافي ذا عينين وقادتين ، ومنقار شديد الصلابه ، ما كاد يصعد فى الجو ، ويحدج ببصره الارض ، حتى تبين له الخيط الابيض من الخيط الاسود ، وحتى رأى الناس فريقين ، احدهما يريده بازيا يصطاد به العصافير ، والآخر يريده داجنا يعيش ويحيا مع العصافير ، فاغمض عيناً عن الفريق الاول ، واتجه بالاخرى نحو الفريق الثاني ، وضج الصيادون ، وعلا صياحهم ، واطلقوا عليه النار ، فرمى اليهم بقشرة البيضة التي كانت لا تزال عالقة بطرف ذيله ، وغاب عن الابصار . . .

فصفق العلماء طربا ، وسجلوه فى قائمة الطيور باسم (طير السلام) وادرك شهرزاد الصباح . . .

كلمة العدد

أتريدون دولة يهودية ؟

هذا ما اسعى اليه ولكن الامور تحتاج الى الصبر والاناة (بيفن)

قام الجيش والبوليس فى فلسطين بحملة تفتيش واسعة خلال الايام القليلة الماضية فى الاحياء اليهودية فى المدن وفى المستعمرات، وقد القى القبض، على كثيرين منهم بعض اعضاء الوكالة اليهوديه . كما انه عثر على عشرات المواقع ومئات البنادق والالاف القنابل ومئات الآلاف من الرصاص وكان الغـــرض من هذه الحملة كما جاء فى خطاب فخامة المندوب استئصال الارهاب والعنف اللذين تقوم بهما بعض المنظمات الصهيونية ، واعادة الهدوء الى البلاد

والارهاب الصهيوني ليس شيئا جديدا فى الجو الفلسطيني ، فقد مضى على الشروع به بضع سنوات ، وحوادثه ليست بالشيء الذي يتهاون به ، او يغضى عنه ، فما الذي حمل السلطة على السكوت عنه طيلة السنوات الماضية ، وقد كان من ضحاياه وزير الدولة فى الشرق الاوسط ، ومحاولة الاعتداء على مندوب سام سابق، عدا سلسلة طويلة من اقتحام المعسكرات ونسف دوائر المهاجرة ، ودوائر التحري وغير ذلك مما هو معروف ومشهور

اننا نعلم جيدا ان الصهيونية لم تلجأ الى هذا النوع من الضغط على الحكومة، الا بعد ان صدر الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩ ، فتاريخ الصهيونية الطويل فى بلادنا لم يسجل هذا النوع من الضغط الا بعد تلك السنة

وليس عجيباً ان توقف الصهيونية ، حملاتها الارهابيه او تخففها بعد صدور بيان بيفن ، وبعد اعلانه نقض الكتاب الابيض وتأليف لجنة التحقيق ، ولم تكن للصهيونية من نقمة آنذاك ، الا (قلة) عدد المهاجرين ، وقصرهم على (١٥٠٠) مهاجر رسمي شهريا وكان ذلك نكسة رجعية ، رجعت بالبلاد الى الوراء

ولكن الغاء الكتاب ، لم يكن فى نظر الصهيونية ، غير التخلص من عائق يقف دون استمرارها نحو تحقيق اهدافها المعروفة وهي اقامة دولة يهودية فى فلسطين، وفتح ابواب الهجرة على مصاريعها . وكان ان اعلنت اللجنة تقريرها ، وكان ان (حددت) الهجرة بمئة الف فقط .. وفى هذه السنة .. وان اعلنت ان فلسطين لا يمكن ان تكون (لا دولة عربية ولا دولة يهوديه) .. وكان ان برز (شيء) من التناقض بين احلام الصهيونية وبين واقع الاستعمار ، بين تلك التي لا تعرف ان لا غنى للاستعمار ، فهي تريد ان تنال اكثر ما يمكنها ان تنال . وبين الاستعمار الذي يعمل منها اداة لتثبيت اركانه ، وتوطيد اقدامه فى الشرق العربي ، ولكنه فى الوقت نفسه يريد ان لا يحول هذا الشرق عدوا له ، ويريد ان لا يفشل اولئك الذين يسعون الى اعادة الثقة به بين الشعوب العربية ، او على الاصح يريد ان يطيل مدة تضليله ومدة اعوانه ، وليحاول ما استطاع حصر قضاياه ، والوقوف دون وصولها الى الميدان الدولي

ان الصهيونية اذ تقوم بما تقوم من الارهاب ، انما تعلم ان قاعدتها وقاعدة الاستعمار واحدة ، وهي تعلم جيدا انها ضرورة لازمة له وهي لا تخاصم الاستعمار خصومة اساسية ، فهي احوج ما تكون الى حمايته والتحالف معه فى اوسع حالات استغلالها ، وحتى فى حالة نجاحها فى اقامة دولة يهودية على اوسع مساحة يمكن ان تحلم بها . وهذا الارهاب الذي مضى على (طول الصبر) عنه مدة طويلة ، كان فى الحقيقة عاملا مساعداً للاستعمار ، يتلاقى معه فى الغاء الكتاب الابيض ، وهذا هو السر فى عدم الجد فى القضاء عليه قبل مدة طويلة . وفى رد المستر اتلي اثناء المناقشة فى مجلس العموم ، وفى نفيه ان حملات التفتيش الاخيرة ذات علاقة بالكتاب الابيض ، او عودة الى سياسة تطبيقه ، ما يبرر لنا هذا الاستنتاج ، وما يبين ان المستر اتلي قد تناسى او اعرض عما ورد فى بيان الملوك والامراء (مؤتمر انشاص) وربطهم بين الثقة ببريطانيا وبين الكتاب الابيض .

وهذا هو قول المستر اتلي :

.. اما بشأن الكتاب الابيض فقد فعلنا كل ما نستطيعه لحمل الوكالة اليهودية على قبول تأشيرات هجرة ولكنها رفضت ذلك . وقد انتهت المدة التي حددها الكتاب الابيض للهجرة ومع ذلك فقد

واصلناها . ومن الخطأ القول اننا نجري على سياسة الكتاب الابيض ، وانما نحن على العكس نسعى للوصول مع الولايات المتحدة الى حل وارجو ان تسفر المحادثات عن تسوية .»

ويقول المستر اتلي فى موضع آخر :

«ولا يعني هذا انه تنفيذ للكتاب.. والطائفة اليهودية تعرف جيداً ايضاً اننا ندرس مقترحات ملموسة قدمتها لنا اللجنة، وليس فى عملنا تقاعس ، ولا تمسك بالكتاب الابيض»

ان حملات الارهاب اليهودي الاخيرة كانت تستهدف شيئاً ابعد بالطبع من الغاء الكتاب الابيض الذي اعلن ويعلن المسؤولون فى صراحة ، انه قد مات ، فما هو ذلك الشيء . وما الذي يستطيع الانسان ان يستنتجه خلال هذه الادوار الغامضة التي يمثلها قسم من السياسيين الانجليز والعرب واليهود ؟ يقول المستر اتلي :

والامر الذي يجب علينا ان نفهمه هو ان فى فلسطين وفى العالم اليهودي قوات عظيمة لم تقنع بفكرة الوطن القومي ولكنها تصر على الدولة اليهودية ، وليس يصح التغاضي عن هذا.

ويقول فخامة المندوب السامي :

«واخيرا فانني اكرر قولي بان العمليات الدائرة الآن انما تجري لغاية واحدة فقط هي اخماد الفتن ، فلم يقفل بعد باب المفاوضة والبحث»

ويقول المستر اتلي ايضاً :

«وكنت عند صدور التقرير قد بادرت القول اننا نسعى للحصول على رأي العرب واليهود ثم نظمنا مشاورات فنية وهذه المشاورات تجري الآن . .»

وقال المستر بيفن منذ مدة قريبة «اتريدون دولة يهودية . . هذا ما اسعى اليه ولكن الامور تحتاج الى الصبر والاناة

ونشرت الصحف تصريحاً لعزام باشا يقول فيه : اننا نقاوم اطماع اليهود فى اقامة دولة فى كل فلسطين .

ان الانسان لا يمكن الا ان يستنتج بان هنالك مفاوضات يعرفها الانجليز ويعرفها اليهود ويريدون ان ينالوا تحت ضغط الارهاب اكثر ما يمكن ان ينالوا، ويعرفها من العرب عدد ضئيل جدا ، يخفيه عن الشعوب ذات الشأن ويعمل على احاطته بالغموض ولفه بالكتمان ، ليقينه بان الشعوب لا ترضاه ، والا فما معنى اخفائه اذا كان فى مصلحة الشعوب، وهل كانت القضايا العامة اسرارا حربية ، يخشى عليها من الافشاء ؟

اننا نستطيع ان نفهم قيام المفاوضات بين الصهيونية والاستعمار ، لانهما يقومان على اساس واحد ، ولا يختلفان الا في (الجزئيات) ، ولانهما يهدفان الى غاية واحدة هي التمكن فى هذه البقعة الاستراتيجية الممتازة . ولكننا لانستطيع ان نفهم معنى المفاوضة بيننا وبينه ، لاننا نختلف فى الاساس ، ونسعى لنيل حريتنا وانعتاقنا منه . وهل يعني التفاوض شيئاً غير التقسيم باقامة الدولة اليهودية ثم البحث فى مقدار مساحتها اذا صح ما استنتجناه ، وهل يعني هذا شيئاً غير التقسيم ، اذا كان الوزير الاول ووزير الخارجية فى بريطانيا وامين سر الجامعة جادين فى اقوالهم التي اوردناها ؟

ان استمرار الارهاب فى السابق ، وان العزم على وقفه الآن ، ليسا شيئاً يتنافى مع الاستعمار فى صميمه ولا هو امر خارج عن الخطة الاستعمارية

ونحن وان كنا ضد الارهاب على اي شكل كان ومن اي عنصر صدر ، الا اننا نرى ان قضية البلاد لا يمكن ان تحل بغير استقلالها ، ولا يمكن ان تجدي المفاوضات وتنفع غير اعدائها ، وان سبيل النضال فى هذه الظروف هي اللجوء الى منظمة الامم ومجلس الامن ، وان التلوية والتعلل بالامل والثقة ، والتدليل بالمظاهر الاستعمارية المخادعة ، امور تبعدنا عن حقيقة قضيتنا ، وتقودنا الى اوضاع سنبكي دما فيها على ما فرطنا ، ولكن بعد ان يكون قد فات الاوان ، وبعد ان يكون المخادعون قد حققوا لاسيادهم ما امروهم به .

يجب ان نعرض قضيتنا ، ما دمنا لا نملك الآن غير ذلك ، ويجب ان نقيم سياستنا على اساس مقاومة الاستعمار والصهيونية ، ويجب ان لا تخدعنا هذه المظاهر ، التي تقوم على اسس تثبيت الاستعمار وتوطيد اقدامه ، ويجب ان لا يكون بيننا من يبرر لنا حمل النير ، والتسليم برغبة الاستعمار على انها (الامر الواقع) ويجب علينا ان نذكر ان النضال لا يعرف اليأس ، وان الشعوب هي المنتصرة دائما، وان لا حياة لنا بغير الحرية والاستقلال، وان طريقها لن يكون الدليل فيها لا الاستعمار ولا اعوانه .

الغد

الأدب الحي

وحدة الخاص والعام (٢)

بقلم ابي هشام

وارعن طماح الذؤابة باذخ ... يطاول اعنان السماء بغارب
يصد مهب الريح من كل وجهة ... ويزحم ليلا شهبه بالمناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه ... طوال الليالي ناظر في العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم ... لها من وميض البرق حمر ذوائب
أصخت اليه وهو اخرس صامت ... فحدثني ليل السرى بالعجائب
وقال: ألا كم كنت ملجأ فاتك ... وموطن أوّاه، وموئل تائب
وكم مر بي من مدلج ومؤوب ... وقال بسفحي من مطي وراكب
فما كان الا ان طوتهم يد الردى ... فطارت بهم ريح النوى والنوائب
فما خفق أيكي غير رجفة اضلع ... ولا نوح ورقي غير صرخة نادب
وما غيّض السلوان دمعي وانما ... نزفت دموعي في فراق الاصاحب
فسلى بما أبكى، وسر بما شجا ... وكان على ليل السرى خير صاحب
وقلت وقد نكّبت عنه مطيتي ... سلام. فإنا من مقيم وذاهب

هذه القطعة من اروع قطع الشعر العربي وأنفسه، وهي مفخرة من مفاخر ادبنا، وان كنا نجدها في كتب الادب تحت عنوان متواضع مثل «ولابن خفاجة يصف جبلا» او «مما قيل في جبل لابراهيم بن خفاجة». وهل هذا القول وصف جبل» اذا كان ذلك فان ابن خفاجة لا علم له بالجبال مطلقاً، وان اصغر مساح ممن يمسحون الارض بامكانه ان يصف لنا الجبل «من حيث هو جبل» بمساحته وعلوه وموقعه وحدوده (ونوع تربته ووزنه اذا شئت) ويكون في وضعه، اصح وادق واوفى، من شاعرنا، فهل وصف الشاعر الجبل حقيقة، وهل عرف احدنا اي جبل يعنيه واين موقعه؟ ان الشاعر وصف ولا شك ما هو ابعد من الجبل، وما هو اعم شمولا، واوسع احاطة من الجبل، انه وصف الطبيعة في (قسم) منها، بل وصف الصورة المنعكسة على ذهنه، تلك الصورة المستوحاة من الطبيعة في (جزء) بارز منها، وتلك الصورة ما كانت لتكون على هذا الشمول وتلك الاحاطة، لو لم يكن ذهن الشاعر او وعيه، متشربا لعلائق المجتمع الذي يحيا فيه، ولو لم يكن فنه (الذي هو قسم من وعيه) صورة عن روابط المجتمع بعضه مع بعض، وعن روابط المجتمع وعلاقاته مع الطبيعة ايضاً.

ولنعد الى القصيدة نتدارسها ونتبين جمالها، ونتبين علل هذا الجمال وتفسيره. ان هذه القطعة تبدأ «بوصف شعري» للجبل، ثم يتلوه حديث للجبل عن مشاهداته وتجاربه واحاسيسه، ثم وداع الشاعر للجبل

فاما القسم الاول فان ابن خفاجة رأى ذلك الجبل الاشم فاثر في نفسه واوحى اليه بصورة للطبيعة تفاعلت مع وعيه الاجتماعي، فعاد بدوره فخلع تلك الصورة على الجبل في شكل فني هي الابيات الخمسة الاولى، ولا نريد هنا بحث الابيات من الناحية الفنية الصرفة، من حيث التركيب واتساق الالفاظ وتتابع التصوير والجرس الموسيقي، وانما نريد ان نبين، اصول الانتاج لهذه القطعة، وعملية هذا الانتاج السامي، والروابط التي يصورها.

انه يخلع عليه في الشطر الاول صفة عظمة الطبيعة وضخامتها في الصورة التي يتصورها الانسان في الطول والطموح وعلو (الذؤابة)، ثم يعرض في الشطر الثاني، مغالبة الجبل للسماء في الطول، وكيف يمد بمجمع كتفيه (الغارب) يتحدى بها نواحي السماء (أعنان) ويغالبها. وتلك اسطورة كانت ولا تزال بين الارض والسماء، وهذا القول تعبير عما يحسه المجتمع من المطاولة والمغالبة، بين المحسوس واللامحسوس، بين المعلوم والمجهول، بين المدرك المشاهد والمغيب غير المنظور. ويعود الشاعر فيخلع على الجبل صفة الرسو والتمكن، وصده للريح من كل وجهة أتى منها، ويزيد في اعتداده وضخامته ان اكتافه تزاحم نجوم الليل علوا وقوة، ثم يخلع عليه صفة «بشرية» صرفة، هي الوقار، وعدم الخفة في الفلاة، تلك الصفة التي يرافقها التدبر والنظر في العواقب، ثم يستكمل صورة الوقار بان يجعل له من الغيم عمائم، ومن البرق ذوائب (وهي السوالف من الشعر، أو ما جاورها من قطع العمامة). وفي البيت الخامس يصف الشاعر تهيؤه الى الاستماع من هذا الاخرس الصامت الذي (يحدثه) بالعجائب، في خلال الليل الذي سرى فيه.

ان هذه الصورة التي جلاها لنا في روعة، هذا الشاعر الفحل، انها انما تدل على ايمانه بالطبيعة وقوتها وجمالها، وهي

تعبر ايضاً عن مبلغ ارتباطه بها وتأثيرها فيه، وهو وان كان قد خلع عليها بعضاً من صفات الانسان - وهو لا يستطيع ان لا يفعل - الا ان نصيب الطبيعة في هذه الصورة بارز وقوي.

واما القسم الثاني وهو الابيات الخمسة الثانية، فليس ابرز ما فيها صورة الطبيعة، وانما علاقتها بابنائها، علاقتها بالانسان، وهي ليست مطاولة بين الارض والسماء، وانما هي علاقات وارتباطات بين الارض ومن عليها، من انسان وحيوان بل اكثر من ذلك ايضاً، فان بها تصويرا عن العلاقات بين الانسان واخيه، بين الانسان ومجتمعه، بين الناس والناس في ظل انظمة خاصة:

وقال: الا كم كنت ملجأ فاتك

وموطن اواه، ومونل تائب

ها هو الجبل يقول: انه كثيراً ما كان مسكناً لانواع ثلاثة من الناس: فاتك، واواه، وتائب، وما هو هذا الجبل غير الطبيعة، ومن المتكلم غير الشاعر ومن هم هؤلاء الثلاثة ان لم يكونوا من المجتمع؟ لماذا ترك الفاتك والمتعبد والتائب مجتمعهم، ان لم يكونوا غير راضين بانظمتهم، ولماذا هربوا الى الطبيعة (أمهم) لو لم يشعروا بالراحة والطمأنينة في كنفها، او على الاصح، لو لم تكن اقل ارهاقاً وخطراً، ممن يرهقونهم ويستذلونهم؟ فاما الفاتك، فهو الذي اعتدى وفتك (علناً) فاصبح طريد النظام في عهده، واما التائب فهو الذي اعتدى وفتك (سرا) فلم يصبح طريد النظام، وانما اصبح طريد ضميره، وهو ان كان لم يفتك ولم يعتد، فانه قام على الاقل باعمال لم يرضها ضميره، فلجأ الى التوبة يغسل بها اوضاره ومحارمه، والاثنان هاربان من النظام في عهدهما، وهما رمز لفئات كثيرة ناقمة على ذلك النظام. واما المتعبد فهو الذي نقم على على الجور والفساد، وهرب بدينه، على حد قول الناسك العربي مرداس حين خرج وسألوه: الى اين قال: اهرب بديني من هذا البلد الظالم اهله. وهذا دليل النقمة على ظلم النظام، والهرب منه بدل العمل على تغييره، فان الانبياء وهم اصحاب الديانات، لم يهربوا بدياناتهم من المجتمعات، بل غيروها..

وهكذا فان الجبل قد اعطى صورة عن بعض علاقات افراد المجتمع، وعلاقاته بهم، وها هو ذا يشير الى آخرين، مروا به، بين مسافر بالليل وعائد من سفره، ومتعبين صرفوا وقت القيلولة (نوم الظهر) في سفحه، ودواب اضناها السفر فاستراحت في كنفه. ها هي الطبيعة تحنو على ابنائها وتأسف في البيت الثالث على فراقهم، ثم يشترك معها شجر الايك. الذي يخفق بدل الضلوع، وطير الحمام (الورق) الذي ينوح نواح النوادب. ثم تعتذر في البيت الخامس عن جفاف الدمع الذي لم يوقفه السلوان، وانما نزح من كثرة البكاء، على فراق الاصحاب الكثيرين.

ان (المشهد الثاني من هذه القصيدة، تجاوب ممتاز بين الشاعر ومجتمعه والانسان والطبيعة بحيوانها ونباتها، وصورة قليلة المثال، عن اتحاد الانسان في الطبيعة، وعن وحدة الحياة، ووحدة الخاص والعام في الفن، ولا سبيل الى الاطالة، وفي ترديد الابيات مرات ومرات، ما يغني عن ذلك.

واما القسم الثالث، فانه للشاعر وحده، حيث اطرق مليا، يفكر في قول الطبيعة، ويخرج من ذلك بهذا النوع المعروف بالطباق عند اهل البديع (سلّى بما أبكى) (سرّ بما شجا). والذي هو اكثر انواع الفنون انطباقا على (الديالكتيكية) وسنفرد له بحثا خاصاً. يخرج الشاعر من حديثه مع الطبيعة متسلياً بما يبكي، ومسروراً بما يحزن، يخرج الشاعر بواقعية الحياة، آمالها وآلامها، ويقطع الحياة مصاحباً للطبيعة ومعتبراً لها خير صاحب، ثم يتركها وقد حوّل مطيته مسلماً سلام الوداع، ومعترفا بانها مقيمة وانه ذاهب.. وبانها باقية وانه راحل.. وما علم انه باق ببقاء هذه الصورة الصحيحة له ولها، وبان التعبير الصحيح عن صور العلاقات بين الناس وبين الطبيعة باقية بقاء تلك العلاقات، وبان هذه الصور وان اختلفت اشكالها والوانها، وان ارتقت برقي هذه العلاقات، فانها خالدة لان فيها تصوير حاضرها، والدافع الى مستقبلها، وما دامت كذلك فانها وان كانت صوراً خاصة لزمن خاص، فيها روح الحركة المستمرة، وفيها روح الدفع المستمر وهو سر خلودها.

ولو كان لي ان اضع عنوانا لهذه القطعة النفيسة من الشعر لما وضعت لها سوى هذا العنوان «الطبيعة والشاعر».

والى العدد القادم

الغد

مجلة سياسية ثقافية اجتماعية نصف شهرية
تصدرها: رابطة المثقفين العرب في فلسطين

المحرر المسؤول : عبد الغني الخطيب
صاحب الامتياز ومدير الادارة : عيسى شاكر
رئيس لجنة التحرير : مخلص عمرو

الادارة
ساحة النبي — القدس ص.ب (١٥٠٢)

الاشتراكات السنوية

مل	جنيه	
٠٠٠	١	جنيه واحد في فلسطين.
٤٠٠	١	في الخارج.

(يخصم ٢٥٪ للطلبة والعمال)

صور من الحياة

ابو خالد .. او .. «دون كيشوت»

بقلم محمد فياض

شخصية يعرفها سكان القرية ، وعلم يشار اليه من مجموعة القرى المجاورة . وانى للناس ان يجهلوا فارس حلبتهم وبندول ازقتهم ومهرج مجالسهم . حتى الاطفال فان له في دنياهم مكانة وأي مكانة ، فما رأوه ماراً الا وبشوا وهشوا له مخلفين لهوهم ليلاحقوه باصواتهم حيناً ويداعبوه بحجارتهم احياناً .

انسان فى عقده السادس وربما تجاوزه . يتميز بوجهه الاسمر الناحل وبما فيه من اخاديد وتجاعيد خلفتها الاعوام وعملت فيها اثار مدىً لا يعلم الا هو وخالقه تعدادها ، ومتى واين ذاق طعمها . وعينان دعجاوان يكسوهما حاجب كثيف الشعر يذكرني بانسان غريب عن هذه الديار وان كان يتحكم فى حياة ابنائها ومصائرهم اعواماً واجيالا . ويكلل عارضيه شعر ابيض خالطته سمرة لم تقو حالكات الليالي على صبغها . ويعلو شفتيه شاربان غليظان انتصب شعرهما الكث واستدقت اطرافهما شامخة الى علٍ تتحدى الكائنات . وتعمل انامله فى شاربيه تداعبهما وتدللهما طيلة النهار وهزيعاً من الليل ، ولم لا وهما رمز رجولته وعنوان شجاعته بل صورة «قبضنته» . .

ما دخلت القرية ولا وطئت اديمها يوماً الا وقدّر لي رؤية ذلك الفارس . وكم دخلت القرية ، وقد عسعس الليل ، وخلفتها ، ولما ينبلج الفجر او يتبين الخيط الابيض من الاسود ، ولكن ذلك لم ينجني من لقياه او ينقذني من السماع لحديثه الساعات . وما حديثه الا فيض من معين افكاره لا ينضب ، وسيل من نوازع نفسه وخطراتها لا ينقطع . ولكن فيه طلاوة بل طرافة لا تدانيها نوادر الحشاشين ولا حكايات «جحا» واقاصيص «ابو النواس» . . . وللسياسة نصيب وافر فى احاديثه . وكأني به يطرب ويلذ له ان يلعب بالدول وقادتها لعبه باحجار «السيجة» او كلابها كما يقولون . ولعل مهارته فى تلك اللعبة الشعبية ، وقد بزاقرانه فيها ، هى سر هوايته للسياسة . وهل هناك من يجرأ على نقد «ابو خالد» عندما يخوض فى دنيا السياسة ، وما اسرع ما يصف الناقد بالغرور والجهل المطبق . وله فى ذلك كامل الحق لان احداً منهم لم يقدر له ان يشهد ما شهده فارسنا . فقد حارب فى صفوف السلطان عبد الحميد وعمل طاهياً فى جيشه ، وفى بلاد «المسكوب» لثلاثة اشهر . وهذا هو كل رأسماله فى السياسة ومعرفته فى الدول ، ولكنها اكسبته سمة فى الاطلاع واصالة فى الرأي حتى غدا يجول فى خفايا الماضي ومكنون الحاضر ويرى بثاقب نظره ما يخفيه المستقبل من احداث .

واقسم بالله ـ صادقا ـ انه ما اكتحلت عيناي برؤية ذلك المخلوق الا وتذكرت ما قرأته يافعاً عن «دون كيشوت» . ولعل القارىء يذكر معي تلك الشخصية التي ابدع فى وصفها كاتب اسبانيا المعروف «سير فانتيس» فالبسها ثوبا من الوصف والتحليل اجاد فى نسجه وفاق في دقة تصويره الكثير من اشخاص «شكسبير» في رواياته . وصاحبنا «دون كيشوت» او «دون كويكزت» كما يلذ للبعض تسميته صورة ناطقة حية لنوع من بني الانسان لنوع استحوذ عليه الهوس وطغت الاحلام والخيالات على عقله الواعي وعلى ملكة تفكيره . فهو يرى الديك اسدا ، وقطيع الغنم جيشا عرمرما من الاعداء ، واجنحة طواحين الهواء عفاريت تتحداه وتطلبه للبراز . فيقاسي ويعاني اشد الالام في عقله وجسمه في نضاله وكفاحه لذلك الخصم الخيالي العنيد . انه الوهم الذي ابتلي به الكثيرون من عباد الله ، والهوس الذي يتفنن علماء النفس ورجال التربية والبداغوجيا فى تسميته وتعريفه . أما الحقيقه ، والحقيقة العارية ، فى تعليله فهي الوضع الاجتماعي الذي يحيا فيه اولئك الناس . لقد عاش «سيرفانتيس» فى عصر اليقظة الاوربية وتحسس نهضتها العلمية التي اجتاحت اوربا ونقلتها من دورها الاقطاعي وسلطان الكنيسة الروحي والمادي المطلق الى دورها الرأسمالي الحاضر . انها النهضة الصناعية التي رافقت هذا البعث العلمي ولازمته فاحدثت تغييرا فى وسائل العيش تبعها تطور فى علاقات الناس وتفكيرهم . وفترات الانتقال هذه ميدان لصراع التيارات الفكرية من قديم يحاول الاحتفاظ بقيمته وجديد يسعى ليتملك ناصية الامر . وهذه التيارات تتقاذف الناس وتتبادل التأثر بهم والتأثير عليهم فتتعاقد فى هذه الاعاصير حلقات لا تلبث ان تنجلي وتساير التيار العام الجارف والدافق الى الامام . وفى تلك الحلقات او العقد يحيا افراد من الناس يصورون ذلك التناقض ويعيشون فى احلام من اليقظة هي بقية من عالم ألفوه واستساغوا تقاليده واستمرأوا عاداته فغدت جزءا من حياتهم

يعز عليهم فراقه ومسايرة تيار التقـدم الانساني فينشأ فيهم هذا الهوس والشعور الغريب الذي يسميه الاطبـاء باسم «الهستيريا»... وفي شخص «دون كيشوت» مثل حي لاولئك النفر ممن وقفوا حيارى في فترات الانقلاب فعاشوا في بلبلة هي كل ما يعانونه من مرض عقلي او نفسي . وقد شهد العالم بعد الحرب العالمية الاولى في دول المحور وحتى بين سكان المستعمرات من راعهم تقدم عجلة التاريخ وقيـام الاشتراكية فاخذوا يتخبطون في دياجير هـذا التيار الجارف وبهتوا يحلقون في خيالاتهم ويستلهمون الارواح العليـة وينادون بالتجرد عن المادة الخسيسة . ولم يجدوا لهم مخرجاً غير الهوس الذي استولى على الشبيبة النازية واشباهها من المنظمات الفاشية في العالم . وفي شرقنـا من تلك المنظمات ومن «عينة» فارسنا ما يغني عن التعداد .

عفوا ، لقد استطردت واصبحت ابحث في سر ذلك الهوس وكاني طبيب نفسي او عالم بداغوجي ، وحاشا ان اكون ذلك وليس لدي ترخيص بمزاولة المهنة . ولنعد الى صاحبنا فارس القرية «ابو خالد» . وليس هذا اللقب وليد الصدفة او العرض ولكن هناك سرا في تسميته. فصاحبنا وحفنة من اقاربه من سكان القرية يشدون حبل نسبهم فيسلسلونه حتى يتصل بسيف الله المسلول «خالد بن الوليد». ولسنا في معرض التمحيص لصحة ذلك النسب فذلك من شأن علماء التاريخ وبحاثي الانساب والاحساب . ولكن ذلك النسب شيء يعتز به «ابو خالد» ويفخر به على بقية سكان قريته وسكان مجاوراتها بل وعلى الناس اجمعين . ولعل ذلك سر ما يتميز به من عنجهية في مشيته واهتزاز العصا او السوط في يمينه . ولعله السبب في تلك المدية التي لا تفارق خاصرته ، ومديته او خنجره يحمل عـلى قرابه اثارا من فضة سكبتها عليه يد كردي منذ سنين . وللتاريخ ذلك الخنجر التليد وعراقته في القدم احاديث تقصر عن احتوائها موسوعات العلماء .

لقد كان «ابو خالد» واخوته يملكون في ارض القـرية شطرا يؤهلهم للزعامة والوجاهة . ودخل عهد الانتداب وصحبته الالة وما توفره من تعب انفس الكثيرين ومنهم «ابو خالد» . وسهلت الاتصال بالمدينة والعالم الخـارجي ؛ فدرجت بذلك قدم صاحبنا الى المدينة . وساقه القدر الاعمى الى التعرف باحد سادتها وكبار اقطاعييها ونال عنده حظوة ومكانة حسده عليهـا الكثيرون . فغدا يتصدر مجالس السيد . ويرافق ركابه العالي اينما حل . ويتوسط لديه في شتى المشاكل . وقد لذ ذلك للسيد فارخى له الغارب حتى توثقت عـرى صداقتهما ، واقتضت ان يعمل صاحبنا على تسهيل مهمة تملك الاراضي الواسعة في القرية وغيرها من القرى المجاورة للسيد ولو كان ذلك على حسابه وحساب اقاربه ومرت اعوام استنفذت ما يملكه «ابو خالد» من ثروة واتت على القسم الاكبر من املاكه واملاك اخوته . فلم يجد هؤلاء بدا من اقتسام ما تبقى لهم من املاك ليخلفوا لصاحبنا حصته يتصرف بها كما يهوى . وهنـا وقف صاحبنا على حقيقة وضعه الراهن . وعضه الفقر بنابه . واعضته سم زعاف دونه سم الافاعي . فاخذ يصول ويجول ويسأل العون وتفتق امامه الحيل ولكنه عاد من كل ذلك بخفي حـنين . وغض السيد والصديق القديم الطرف ، وتجاهل وجود صاحبنا وابقاه يعاني الم الفاقة ويتلظى بنار الحاجة وقصر ذات اليد بعد ان قلب له الدهر ظهر المجن . وطـال تردده وتعددت سبل مساعيه ولكنهـا لم تجد فتيلا . ولم يخرج من مأزقه ذاك الا بما اصابه من هـوس ملك عليه مشاعره وخلق منه «دون كيشوت» يعيش في احلامه ويجتر همومه ويتسلى باستعـادة ماضيه يتحدث عنه لاي كـان وفي كل مـكان . ولازمه في وضعه الجديد حاشية من اهالي القرية وظرفائها يتندرون باحاديثه وتصرفاته وقد نال من بينهم «محمود» ويكنى «ابو حنحت» الحظوة في بلاط صاحبنا لما يتمتع به من ظرف ولين. فاصبح راويته ونديمه يلاصقه كظله . ولعل هذا الراوية اعرف الناس به واكثرهم اطلاعا على سيرته واعمـاله . ويطيب لي ان اروي شذرا من احاديثه وصورا من اعماله . لم يعد باستطاعة « ابو خالد» بعد ما اصابه من عـوز ان يتخـذ السيارة مطيته . فاستغنى عنهـا بالخيل ، ولـكن غلاء اسعارها لم يمكنه ان يقتني منها غير بغل اقرب الى الموت منه الى الحياة . فاتخذ منه دابة يزرع بها ارضه او ارض من يؤجره في القرية واستعان به في غدوه ورواحه . وطاب له يوما ان يحمل عصا التسيار وينزل ضيفا على اهـل القرية المجاورة لينشر قسما من قصصه واحاديثه. وعبثا ضاعت مساعي « ابو حنحت » في اقناعه بالعدول عن ذلك المشروع او على الاقل بتنفيذه مشيا على الاقدام اراحة للبغل الهزيل . ولـكن «ابو خـالد» ابى الا ان يدخل القرية ظافرا مظفرا عـلى صهوة جواده كائنا ما يكون . فلم يسع راويته الا الخضـوع لارادته ومسايرته مجبرا لا اختيار له . وما كاد الجواد يجتاز بفارسه بيوت قريتهم الا وقد استسلم وابى السير فلكزه ابو خالد وهمزه وغمزه . ولـكن ذلك لا يسوق حيوانا برزت عظامه من من الجوع والهرم وتقوست ركبتاه من الهزال والتعب . ولم تجد معه عصا ابو حنحت يضربه ويستحثه على السير . وهنا لمحت في سماء تفكير الراوية خاطرة لم يسع « ابو خالد» الا الموافقة عليها فارتأى ان

—(البقية على صفحة ٢٣)—

الرأسمالية الاستعمارية

CAPITALIST IMPERIALISM

ان الرأسمالية المعرضة للازمات الطارئة (والازمة كما عرفها ماركس هي انه يحدث بين الفترة والاخرى ان يزيد انتاج وسائل الانتاج وضروريات الحياة الى درجة يستحيل معها على اصحاب رؤوس الاموال ان يستخدموها في استغلال العمال على معدل ربح معين ...) ان الرأسمالية هذه مضطرة أن تفتش لها عن مجالات واسواق جديدة لاستثمار رأس المال. في مراحل سابقة، حينما كانت الطبقة العاملة آخذة في النمو السريع (كنتيجة للتراكم المالي المستمر) كان هناك مجال واسع للربح من رأس المال المستثمر في الصناعة الآلية، وفي الاماكن التي لا يزال استثمار رأس المال فيها ضئيلا. ولكنها (الرأسمالية) اضطرت ان تمد يد استغلالها الى خارج حدود بلادها الاصلية عندما توسعت وتطورت.

وهذا يتفق تماماً مع نهوض المنظمات الاحتكارية الكبرى المقترنة بالمال. المنظمات التي قامت بعمل ازدواجي وذلك باتخاذ الاجراءات لتحتفظ لنفسها بمعدل الربح في بلادها، وبعد ذلك لتنظيم مشاريع على مقياس واسع للاستعمار الاستغلالي فيما وراء البحار (ويكون الاحتفاظ بمعدل الربح داخل البلاد على حساب الرأسماليين الصغار، اما بدحرهم من مجالات صناعية معلومة، او بتعليق صناعاتهم وربطها بالرأسمالية الكبيرة) والى هذا تستطيع ان تعرف رغبة الدول الرأسمالية الكبيرة في امتلاك المستعمرات في اواخر القرن التاسع عشر. ويبدو هذا في النزاع الذي قام حول استعمار افريقيا في العقد التاسع من القرن التاسع عشر وفي تجزئة الصين الى مناطق نفوذ.. الخ.

وان تصدير رأس المال الى هذه المساحات المستعمرة يكون الاتجاه الاساسي في العلاقات الاقتصادية معها.

لينين والاحتكار

Lenin on Imperialism

لقد وضع لينين طابع الدور الاستعماري الحديث للرأسمالية في خمس نقاط اساسية.

١ ـ وصل تمركز الانتاج ورأس المال الى حد بعيد، ادى الى ظهور احتكارات، لعبت دوراً فاصلا في الحياة الاقتصادية.

٢ ـ اندمجت الاموال المصرفية (Bank Capital) بالاموال الصناعية فادى ذلك الى خلق اقلية متمولة على اساس رأس مال نقدي.

٣ ـ تصدير رأس المال الذي اصبح عظيم الاهمية ازاء تصدير البضائع

٤ ـ تأسيس الشركات الاحتكارية العالمية التي اقتسمت العالم

٥ ـ تمام تقسيم العالم الى مناطق نفوذ بين دول العالم الرأسمالية

وقد كتب في مكان آخر: لقد ظهر الى الوجود نوع جديد من الاحتكار في مدخل القرن التاسع عشر. فهناك الشركات الرأسمالية الاحتكارية في البلاد المتقدمة في الرأسمالية اولا وثانياً هناك بلاد غنية وصل فيها تراكم رأس المال الى درجة ضخمة وهي لذلك تحتل مركزاً احتكاريا. ففي البلاد المتقدمة زاد تضخم رأس المال، وهذا مهما بقي على حاله فانه لا يستفاد منه في رفع عيش الجماهير في اي بلد مفروض. وهذا يعني انخفاض ربح الرأسمالية ولا يمكن ان يستعمل رأس المال هذا لزيادة ربح الرأسماليين الا اذا صدر الى ما وراء البحار، الى البلاد المتاخرة حيث وفرة الربح، لندرة رأس المال، ولانخفاض اسعار الاراضي، وانخفاض الاجور، ورخص المواد الخام. وقد ختم ذلك بان الاستعمار يمثل مرحلة خاصة من تطور رأس المال كما شرحنا. وهذه تسمى «اعلى درجات الرأسمالية». وهو يقول عنها ايضاً، بانها هي نهاية الثورة البرلتارية (العالمية) فهي حاوية لأقوى متناقضات الرأسمالية التي هي اقوى القوى الدافعة لعصر الانتقال في التاريخ

وهو يقول ايضاً اي لينين...

ان هذه الحقيقة تفرض نفسها على التاريخ، وذلك لان الاحتكار الذي ينمو على اساس المنافسة الحرة في التجارة. هو حركة الانتقال من النظام الرأسمالي الى نظام اقتصادي اشتراكي اعلى.

انظر الاستعمار (فصل ٧ ـ ١٠)

الاستغلال في المستعمرات

Colonial Exploitation

ان النتيجة الحتمية للتوسع الاستعماري الناجح لكل بلد مستعمر هي زيادة كلا الفائدتين النسبية والكلية. وذلك لانها تجهز باسواق جديدة للبضائع ورأس المال ايضاً. ولهذا فان رأس مال الام (The Capital of the Home Country) يحصل على فائدة اضافية مستخلصة من استغلال المستعمرات (وتسمى احياناً الارباح الفائضة (Super Profit) ويحمي هذا الاستغلال ويروج بالمراقبة السياسية على البلاد المستعمرة (كما حدث في الصين

ايضا). واما بوضع البلاد تحت الحماية كما في مصر، وبالاحتلال والضم الكلي كما هي الحالة فى الهند والحبشة والملايو.

والاستغلال يكون على اشكال مختلفة فهو اما يكون استغلالا تجاريا، ويؤيد هذا بانظمة وقوانين احتكارية تكون فى صالح الدولة المستعمرة. وخير مثل على ذلك هو مراقبة الشركات الاحتكارية الكبرى لتجارة المستعمرة واما ان تكون المراقبة بقوانين سياسية متفق عليها بالتعريفة الجمركية... الخ... الخ مما له اكبر الاثر فى تخفيض اسعار المنتوجات المحلية ورفع اسعار المنتوجات الصناعية المستوردة من الخارج

وقد يكون الاستغلال ايضاً باستثمار رأس المال في المستعمرات كرأس المال النقدي او رأس المال لتستعمل في القروض

ووجه آخر من وجوه استثمار رأس المال هو استغلاله في المزروعات والتعدين والسكك الحديدية وحتى فى الترويج الصناعي الى حد معين (مثل مغازل القطن فى الهند والصين ثم استنبات القطن فى وادي النيل فى السودان). حيث يستغل الرأسمال الاجنبي القيمة الفائضة من بروليتاريا المستعمرات مباشرة

وعندما يحدث ان يعقد قرض بين مستعمرة او شبه مستعمرة وبلد استعماري فان شرطاً يقترن بهذا العقد، فحواه بان دخل هذا القرض يجب ان يصرف فى البلد المستعمر (مثلا فى شراء مواد البناء والآلات) وهذا يعني ان الشركات المتعاقدة فى البلاد الاستعمارية تجني ارباحاً طائلة من وراء هذه القروض، وذلك بتصديرهم البضائع بسعر غال الى اسواقهم الخاصة (المستعمرات)

والاستعمار يعرقل سير المؤسسات الاقتصادية الناشئة في البلاد المستعمرة الى حد. فهي تفقر الفلاحين وتخلق بروليتاريا مستعمرات باساليب تتناسب مع التراكم المالي البدائي. وهذا يكون غالباً كما حصل فى الهند فهو (اي الاستعمار) ساعد على نمو الانتاج الصناعي المحلي وحصره فى طبقة يمكنها او حتى امكنها ان تلعب دوراً مساعداً مع الاستعمار.

انه لمن فائدة الشركات الاحتكارية الكبرى فى البلاد الاستعمارية ان تحدد من النمو الصناعي فى المستعمرات (فهى تعمل جاهدة على خنق المصنوعات المحلية المستقلة النامية فى المستعمرات كمنافسة لها) وتتمسك بها كمنبع رئيسي للمواد الخام والمنتوجات الزراعية. ولذلك فان اكثرهم للاستعمار هو تعويق النمو الصناعي فى البلاد المستعمرة.

***

ذاك حكم الزمان

كل حر في ساحة الحق باق ... خالد لا يخاف بطش الزمان
هو نور الاله يبعث فيها ... حين تخبو عزيمة الوجدان
فتهب الحياة من كل فج ... وتضج القلوب بالخفقان
وترى العين عالماً ما رأته ... فتحول الدماء للغليان
لا يسود السلام الا بدنيا ... غير دنيا الآهات والعدوان
انا حر وانت حر ومجدى ... ليس الا حرية الاخوان
ذاك حكم الزمان لو عقل الناس لصانوا حرية الانسان
لست انسى في نشوتي بؤس غيري ... فهو هم مقرح اجفاني
انا عبدا ما دام في الارض قيد ... واحد لا يفك من عنق عان

* * *

قل لمن يملك الزمان تأمل ... اي دنيا تمور بالعنفوان
ان حسن الحياة في الحق والعدل ونور الوجود في الاحسان
وطني انت منبت ومآب ... للهداة الاحرار والشجعان
قد تمرست بالدواهي فضجت ... بالشكيم الخيول للفرسان
وتحدى الاباء كل غشوم ... فتداعت دجنة الامتهان
انت اعلى من ان تهان وابقى ... من تمادي الأزراء والحدثان
ذهب الخوف والرياء وماتت ... شطحات النفاق والروغان
انت حر من القيود وحر ... من صغار النفوس والعبدان
ان قلبي يفيض بشراً وروحي ... يتجلى ويزدهي بالاماني
جاء يوم البناء للامل الحلو ... ويوم الاصلاح والعمران
كان في الغيب مستسرا فاضحى قبض كفي وقوة في حناني

(ح. ف.)

على باب سجن ابى العلاء

للاستاذ يعقوب سابا

لست اعرف شاعرا او اديبا احق بالتقدير من شاعر العروبة الرصافي الذي دافع بقلمه دفاعا لم يعرف اهل السيف له مثيلا ، والذي ناضل في سبيل فكرته التحررية نضالا تعجز عن وصفه الاقلام . ولقد ترك بعد وفاته عدة مؤلفات طبع بعضها وبقى البعض الاخر منها مخطوطا لاسباب عدة . على ان بعض الشباب العراقي الحر قام بطبع ونشر هذه المخطوطات اعترافا بفضل الرصافي واشفاقا منهم على الشعب العربي من ان تسنح له الفرص من الاضطلاع عليها . وها هم يقومون بنشر هذا الكتاب «على باب سجن ابي العلاء» .

يبدأ ناشر هذا الكتاب بترجمة موجزة لحياة الرصافي وجهاده طيلة الاعوام السبعين التي قضاها في هذه الدنيا وكيف انتهت به الى نهاية لا يحسد عليها من الفقر والاهمال ، تلك النهاية التي لا اشك مطلقا بانها تأخذ طريقا اخر الى الجاه والمال لو انقن الرصافى من المراوغة والمداهنة كغيره من الادباء .

ولد الرصافي في بغداد سنة ١٢٩٢ للهجرة في عائلة فقيرة من اب كردي وام عربية وتنقل من كتاب الى كتاب حتى استقر في مدرسة الرشدية العسكرية في بغداد وبدأ يقرض الشعروهو في الخامسة عشرة من عمره ، وتقلب في كثير من المناصب، فمن رئيس تحرير مجلة تدافع عن العرب اثناء اقامته في تركيا الى مدرس في المدرسة الملكية الشاهانية الى نائب في المجلس النيابي العثماني الى معلم في دار المعلمين في القدس الى معلم في دار المعلمين في بغداد الى مفتش في دائرة المعارف في العراق . والذي يهمنا من امره انه كان في كل مراحل حياته مدافعا عن الحركات الوطنية التحريرية اسمعه وهو يخاطب «بلدز» بهذا الصوت المرتفع :

ايها القصر ايه بعض جواب
لا تكن ساكتا على تسآلي
قد تخونتنا ثلاثين عاما
جئت فيها انا بكل محال
انما نحن امة تدرأ الضيم ولا تستكين لوالي
ليس عبد الحميد فرداً ولكن
كم لعبد الحميد من امثال

فلما تم للاحرار الاتراك قلب النظام الفاسد الداهي اخذ الرصافي يتغنى بالحرية ويدعو الى الاخوة والعدل والمساواة في قصيدته المشهورة :

سل اهل باريس عن تموز تلق لهم
يوماً به كان مشهودا لباريزا

الى ان يقول

هي المساواة عمتنا فما تركت
فضلا لبعض على بعض وتمييزا

ولكنه ككل مخلص لشعبه لم يغره معسول الحديث بل جعل يطالب بالاصلاح كثمرة للدستور ولكنه لما يئس من ذلك بكى على وطنه المعذب فقال :

نظرت الى عرض البلاد وطولها
فما راقني عرض هناك ولا طول
ولم يبد لي فيها معاهد عزها
ولكن رسوم رثة وطلول
أأمنع عيني ان تجود بدمعها
على وطني اني اذا لبخيل
فان تعجبوا ان سال دمعي لأجله
فان دمي من اجله سيسيل
تريدون للعليا سبيلا وهو لكم
اليها وانتم جاهلون سبيل

ولما لم يصغ له احد بل ان الخطر الداهم بالعرب قد ازداد راح شاعرنا يكشف عن الايادي الخفية التي تلعب وراء الستار فقال

ولم نك ندري لاهتضام حقوقنا
انحن من الاحرار ام نحن في رق
ولم نستفد الا سقوط وزارة
وتأليف اخرى مثل تلك بلا فرق
وماذا عسى يجدي سقوط وزارة
اذا لم تقم اخرى على العدل والصدق
ولكن وراء الستر كف خفية
تزحزح من شاءت على الامر وتبقي

رحم الله الرصافي في قوله هذا وهل تراه ينطق بحالتنا الحاضرة ، ويتنبأ عن وصفنا الراهن ام ان الاستعمار في مختلف حالاته ونواحيه واحد .

واما كتابه «على باب سجن ابي العلاء» فهو في روحه تحليل جديد لاشياء كثيرة نحا الدكتور طه حسين في فهمها نواحي اخرى فبينا ترى الدكتور يحاول ان يفهم الاسباب التي ادت بابي العلاء الى كتابة لزوم ما لا يلزم مثلا على طريقته الخاصة من ان ابا العلاء كان يؤيد اللهو واللعب فيها لفراغه الوقت الطويل اذا بنا نرى الرصافي يعارضه في ذلك فيقول ان ابا العلاء لم يقم بكتابة لزوم ما لا يلزم الا ليظهر لعلماء زمانه انه اقوى منهم في اللغة والادب وانه وهو المقيد في القافية الشعرية بحرفين يستطيع ان ينظم اشعارا يقصر عنها هؤلاء وهم احرار . ويذهب الدكتور طه حسين الى القول بان ابا العلاء كان ينظم

—(البقية على صفحة ١٦)—

وجدانيات الوجدانيات

مفهوم ...!

[لا انفس على جريدة الدفاع الغراء عنوان (وجدانيات) ولا اطمع فى ان ابلغ شيئاً من (صدقها وعمقها وروعتها). لكني مفتون بتلك الوجدانيات وأحس عمق التأثر بها ولذلك فتنت بالتعمق الشديد فكان من ذلك عنواني الجديد]

واليك ما فتح الله به هذه المرة :—

كتب الي شاب فقال انه يصاب بكآبة لا يدري لها سبباً.

حالة تعتري كثيرين من الناس، لكن لها علاجا حاسماً. لا تفكر فى الكآبة. انظر ساهما الى الافق، الافق البعيد، الذاهب في البعد الذي تتلاشى عنده الاحلام وتترد الآمال. فكر هناك تجد روحك الضالة تمتزج بروحانية سامية ما احلاها! وتشعر بنفسك ترتفع عالية عن فكرة «المادة» المعيبة و«الحياة» المبتذلة!

بالامس فقط كنت مثلك احس التعاسة والشقاء، تعاسة النفس وشقاء الجسم... اما الآن فنظرة الافق تلك احالتني الى رجل سعيد. تفكر فى «المادة» فاأف لها ما اشدها دنساً! تفكر فى «الحياة» فتباً لها من زائلة.

انظر الى الافق تتلاشى احلامك وتتبدد همومك، وتنزاح الكآبة عنك. لقد جربت ذلك فى نفسي ولذلك انصحك به. فانا لا اعني بالمادة قط ولا اتملق مصادرها ولذلك اجد نفسي راضياً سعيداً.

وهذا «الفقر» هل تفكر فيه! انظر الى من دونك من الناس تتنفس الصعداء، وتحس بسعادة. ارأيت الى النبتة المفردة العالقة بالصخر الاصم؟ من اين تعيش؟ انها قانعة والقناعة تحييها وتلهمها السعادة، ففكر فيها تتحسن الحالة، حالا تتحسن. هذه وسائل سعادة.

هناك (اي فى بلاد الغرب) لا ينظرون الا الى انفسهم فهم سعداء اقوياء... وهنا (اي فى الشرق) ينظر بعضنا الى بعض فنشقى ونصاب بالحسد والتشفي وتثبيط الهمم.

فما احلاك ايها الافق، الافق البعيد.. هناك.

كذب صراح

الغيبة والنميمة. ان ياكل الناس بعضهم لحم بعض امواتاً، ان تخفض من اقدار الناس في غيبتهم فاذا حضروا قلبت الخفض الى مديح، ان تنال من اعراض الآخرين في كيد ومرارة وحقد.

شيء مكروه!!

كنت اقرأ من قريب كتابا بالانجليزية. انه كله بحث في هذه الخصال الرذيلة. الفتاة طيبة النفس طاهرة الذيل نشأت على حب الخير فلا تعرف الشر ولا الرياء. وعاملت الناس فرأت نفوسهم تتنزى بالشر وقلوبهم تطفح بالرياء والمكر. عاملت هذا فرأت ذاك، واتصلت بذاك فعاينت ذلك. طبيعة البشر شريرة ومع ذلك رأت المجال فسيحاً وارض الله واسعة. ودعت اهلها بعيون دامعة وقلب منكسر، ولكنها كانت مع ذلك قوية النفس شديدة الايمان. وركبت البحر. وعلى جزيرة نائية منفردة صغيرة قضت عمرها نقية الضمير لا تتصل بشرير ولا يتصل بها شرير. وعند الموت سمعت وهي تلفظ انفاسها الاخيرة وتقول «حبيبي»!!

نموذج رائع!!

هناك يعلمون ابناءهم نقاوة الضمير وصفاء النفس فلا غيبة ولا نميمة. اماهنا فبعضهم ياكل لحم بعض والكل ينهش سيرة الكل. فمتى نخلص من هذه الحال ونتمثل بتلك الفتاة ذات الجزيرة والحب.

ولا يظن القارىء اني اتحدث كثيرا عن النميمة، لوازع عميق في نفسي انا شخصياً. الحق انها داء عضال، داء قتال. ولذلك اتحدث عنها. ولقد قال صاحبي اني اكثر الحديث عن النميمة لاني اخاف ان يتحدث الناس بسيرتي. هذا كذب صراح ان الغاية ان يتعلم الناس مما نقول ولسنا نصف فيما نكتب انفسنا، او ندافع عنها. الحمد لله!!

اذا كان المرء قد نشأ نشأة قوية فلا يحس ان طعنة جاءته من جهة ابيه مثلا، وحتى لو احس لم يهمه كلام الناس عنه في هذا. واذا كان المرء قد تثقف ثقافة عالية فتخرج من الجامعة بشهادة، وحتى لو لم يتخرج بشهادة فماذا يهم: ؟ واذا كان قد نادى في مطلع حياته بمبادىء وطنية كالمقاطعة والعصيان المدني والثورة على الاستعمار، ثم اتضحت له الامور فالمقاطعة مستحيلة لاننا على الاقل بحاجة الى كهرباء للآلات. والعصيان المدني فكرة خيالية لان الناس ضحكوا منها، والثورة على الاستعمار عيب لان هناك اصالة طبع الانجليز وحلاوتها وهناك «هيبة الحكومة» لحكومة. ومن الانصاف - والرجل المهذب منصف - ان نحسب حسابها. اذا كان المرء

بدون تعليق

من هو كلايتون ؟

ايمنع الوطنيون ويسمح له بدخول الجلسات

بلودان - في مساء يوم الاربعاء وقبل انعقاد جلسة الجامعة بساعة واحدة شوهد الجنرال كلايتون مدير دائرة الاستعلامات البريطانية في الشرق الاوسط يصل الى هنا، ثم يدخل الفندق مسرعا ويختلط بالشخصيات العربية. وقيل انه حضر اجتماعات الجامعة رغم ان الوطنيين انفسهم - ما عدا الصحافيين رفعوا من الحضور. فاستغرب كثيرون هذا التصرف وتساءلوا في دهشة وألم.

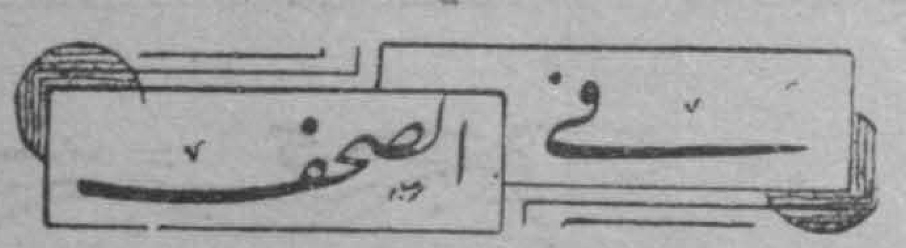
ونحن نمسك عن التعلق على كل هذا ريثما تعلن القرارات النهائية المتحدة في الدورة الاستثنائيه في قضية فلسطين لنرى.. وانما نقول اننا ضحكنا كثيراً لدى مشاهدة هذه الاساليب الدبلوماسية الطريفة، لا

قد اتصف بهذا كله؛ فهل تظن انه يحسب حساب الناس فى الغيبة والنميمة ولو في اعمق اعماق نفسه. كذب صراح !!

ولنعد الى حديث فتاة الجزيرة والحب.

فتاة رائعة علوية تبعث في النفس السمو والترفع عن السفاسف والترهات!..

(س...)



الى مجلس الامن

يتخبط رهبان السياسة فى السودان فها هو حزب الامة ينادي بعرض القضية السودانية على مجلس الامن: ورفع قضايا الشعوب الى مجلس الامن شيء سليم الاان السودان له حالته الخاصة فقضيته مرتبطة بالقضية المصرية ولا حل لهذه دون تلك واذا حدث ان رفعنا قضيتنا الى مجلس الامن - ويجب ان ترفع - فعلينا ان نرفعها مع القضية المصرية خطوة خطوة.

وهنا تبرز مهمة اخرى للجبهة الشعبية الا وهي ربط كفاح الشعب السوداني

سيما بعد ان سمعنا بتأليف اللجان الوزارية بين انكلترا واميركا.

دمشق — «الاستقلال العربي»

الرأسمالية تنطق...

قال لنا معالي عبد الجليل ابو سمرة باشا:

«ليس هناك عمال عاطلون، ولكن هناك عمال ثائرون. وهم في ثورتهم يوشكون ان يضيعوا على الحركة الصناعية ٤٠٠ مليون جنيه، تستغل الآن فى الصناعة، ولا يعلم الا الله، في اي شيء تستغل هذه الاموال اذا استمر العمال على التفكير بهذه العقلية. وانا اعلم ان هناك اياد روسية وبولندية وتشيكوسلوفاكية، تحرك العمال وتحاول تعكير الجو بينهم وبين الحكومة

ومرة اخرى اؤكد لك انه ليس هناك عمال عاطلون، وانا مستعد ان اساعد كل من يتقدم لي ويثبت انه لا يجد عملا فى الوقت الحاضر»

«روز اليوسف»

بكفاح الشعب المصري، والاصرار على عرض القضيتين وحلهما معا.

ولا يكفي الاصرار على ذلك فقط بل يجب ان نصر على حق تقرير المصير لانه مقدس. فعلى الجبهة الشعبية ان تفهم الشعب ما هو حق تقرير المصير وكيف يتحقق وما خطواته ام درمان

قضية فلسطين

ان واجب الشعوب العربية اليوم، وقد انفرط عقد الجامعة العربيه ان تعمل ما وسعها العمل، وتسعى ما وسعها السعي لتجبر حكوماتها اولا وجامعتها ثانياً على ضرورة عرض قضية فلسطين على مجلس الامن دونما توان ولا تأخير وتضطرها على عدم الرضى بغير الاستقلال الناجز والسيادة الكاملة فى ظل حكومة دمقراطية حقة. ففي هذا وحده الحل الذي لا حل غيره.

الرابطة

في السياسة العربية

لقد اصبح من الصريح الواضح ان بعض الاوساط العربية الحاكمة تتجر فى السياسة الخارجية مع تيار خطر على الاماني العربية وخيم العاقبة. ومظاهر الضغط على البلدان العربية التي لا ترضى الانجرار وراء هذا التيار بارزة ملموسة فتهديد سوريا الجمهورية بسوريا الكبرى الملكية ليس سرا. وتهديد سوريا الجمهورية معناه ايضا تهديد الجمهوريه اللبنانية اما المملكة العربية السعودية فيؤمل عزلها. واما مصر فيماطل فى الجلاء عنها، وعند الضرورة يجلى عنها الى بعد ١٠ ياردات من حدودها المتاخمة لفلسطين.

الطريق



• قال زيد بن جندب :

ما كان اغنى رجالا ضل سعيهم
عن الجدال واغناهم عن الخطب

***

• وقال اخر :

يقطع طرفه عني سويد
ولم اذكر بسيئة سويدا
توق حداء شوك الارض تسلم
وغير الاسد فاتخذن صيدا

***

• وقال اخر

لا يعرفون الشر حتى يصيبهم
ولا يعرفون الامر الا تدبرا

• قال عبد الرحمن الزبيدي: سرقت نعل عامر بن عبد الله الزبيري فلم يتخذ نعلا حتى مات ، وقال : اكره ان اتخذ نعلا فلعل رجلا ان يسرقها فيأثم .

• قال الشعر

عجبت لادلال العي بنفسه
وصمت الذي قد كان بالقول اعلما
وفي الصمت ستر للعي وانما
صحيفة لب المرء ان يتكلما

• قال زهير بن ابي سلمي :

وان الحق مقطعه ثلاث
يمين او نفار او جلاء

• قال عبدة بن الطبيب :

والمرء ساع لامر ليس يدركه
والعيش شح واشفاق وتأميل

وان عناء ان تفهم جاهلا
ويحسب جهلا انه منك افهم

• كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن ابي وقاص : يا سعد سعد بني وهيب ، ان الله اذا احب عبدا حببه الى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس . واعلم ان ما لك عند الله مثل الذي لله عندك .

***

• سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا عن شيء فقال : الله اعلم . فقال عمر : لقد شقينا ان كنا لا نعلم ان الله اعلم . اذا سئل احدكم عن شيء لا يعلمه فليقل لا علم لي .

• قال ابو تمام الطائي :

كذبتم ليس يزهى من له حسب
ومن له نسب عمن له ادب
اني لذو عجب منكم اردده
فيكم وفي عجبي من زهوكم عجب
لجاجة لي فيكم ليس يشبهها
الا لجاجتكم في انكم عرب

***

• قال عمر بن يراق الهمداني :

وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم
فهل انا في ذيال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارما
وانفا حميا تجتنبك المظالم

• كان الحطيئة يرعى غنما وفي يده عصا . فمر به رجل فقال : ياراعي الغنم ما عندك ؟ قال عجراء من سلم ، يعني عصاه . قال اني ضيف . قال للضيفان اعددتها .

***

• قال الحجاج لرجل من الخوارج: أجمعت القرآن ؟ قال أمتفرقاً كان فاجمعه؟! قال أتقرأ ظاهراً ؟ قال بل أقرؤه وانا انظر اليه . قال أتحفظه؟ قال أخشيت فراره فاحفظه ؟ ! قال ما تقول في امير المؤمنين عبد الملك ؟ قال لعنه الله ولعنك معه ! قال انك مقتول فكيف تلقى الله ؟ قال القاه بعملي وتلقاه بدمي .

***

• دق رجل الباب على الجاحظ فقال الجاحظ : من انت ؟ فقال الرجل انا . فقال الجاحظ : انت والدق سواء .

***

• وقف اعرابي على قوم يسألهم ، فقالوا من انت ؟ فقال : سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب .

***

ومن سره ان لا يرى ما يسوءه
فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

***

• قال بعض الزهاد : لو خيرت يوم القيامة بين الجنة والنار لاخترت النار استحياء من دخول الجنة . فبلغ ذلك (الجنيد) فقال : وما للعبد والاختيار !

***

• قال صلى الله عليه وسلم : كاد الفقر ان يكون كفراً .

• نهض الحارث بن حوط الليثي الى علي بن ابي طالب وهو على المنبر فقال: أتظن أنا نظن ان طلحة والزبير كانا على ضلال ؟ قال : يا حار ، انه ملبوس عليك ، ان الحق لا يعرف بالرجال ، فاعرف الحق تعرف اهله .

عن : «نيو تايمز»

تياران فى السياسة العالمية

ترجمة : ع . ا ح

عم الابتهاج شعوب العالم وتجلى في احتفالها بيوم النصر . وان دل هذا على شيء فانما يدل على وعي الجماهير وتقديرها لأهمية الحرب الكبرى التحررية التي قضت فيها على النازية العدو الاول للانسانية . الا ان الشعوب ، وهي تحتفل بذكرى الانتصار على النازية ، لا زالت يقظى ترتقب الاوضاع الدولية المتشابكة . ان هذه الملايين من ابناء الشعوب التي خاضت غمار الحرب العالمية الاخيرة لن تقف مكتوفة الايدي بعد ان كشفت الغطاء عن الاحابيل الجديدة في سياسة الرجعية العالمية . ان هذه الانتكاسات في سياسة الدول الرجعية هي التي زجت بالانسانية في حربها الاخيرة . اما الشعوب فلم تنس ذلك وانى لها ان تنسى الهاوية التي اقتيدت اليها وما قاسته فيها من آلام . وهذا يحملها على التفكير في الخطر الذي تقودها اليه تلك السياسة الرجعية .

ليست النازية الا الحلقة العليا في سياسة التوسع الالماني ، وليست الا النهاية المحتومة للاحتكار والاستعمار . ولكن النازية لم تصبح خطرا يعكر صفو السلم العالمي الا بعد تأييد الرجعية العالمية لها . ان التساهل الذي جرت عليه سياسة الطبقات الحاكمة في بريطانيا وفرنسا هو الذي مكن المانيا من الاستعداد التام للحرب . وتأييد الشركات الاحتكارية الدولية لالمانيا هو الذى جعلها تشعر بامكانية السيطرة على كافة الشعوب . فشرعت في سلسلة اعتداءاتها الآثمة واخذت تحتل بلدا اثر الآخر لتعمل على تثبيت اقدامها وضمان سيطرتها . لقد كان بامكان الدول التي تزعمت عصبة الامم تجنب هذا الغزو الالماني لو اتبعت ازاءه سياسة اجماعية حازمة . ولكن خطتها الواضحة فى تكوين جبهة متحدة امام الاتحاد السوفياتي هى التي اضاعت السلم العالمي ، وقد ادى بهم تأليف تلك الجبهة المتحدة الى توقيع اتفاق مونيخ الذي لم يكن غير تكتل الرجعية العالمية وناقوساً للحرب العالمية الاخيرة . فلم تمض مدة على ذلك الاتفاق المشئوم حتى اشتعلت نار الحرب واطاحت بالكثير من دول اوروبا وعلى رأسها فرنسا . ولما اصبح خطر الغزو يهدد بريطانيا فى عقر دارها لم تجد الطبقة الحاكمة فيها بداً من التعاون مع الاتحاد السوفياتي. ونما هذا التعاون حتى غدا حلفاً سوفيانياً انجلو امريكياً انضمت اليه معظم شعوب العالم التي تعشق الحرية. لم يقتصر هذا الحلف على التعاون في الاجراءات العسكرية بل شمل تعاوناً سياسياً فى الحرب التحررية للقضاء على الفاشية . ولم تكن المقررات الديمقراطية المشتركة التي ظهرت فى ميثاق الاطلنطي ومؤتمرات القرم وبرلين غير ثمرة ذلك التعاون السياسي . الا ان هذا التعاون لم يخل من بعض الاختلافات السياسية - كالمشكلة البولونية - او الاستراتيجية - كفتح الجبهة الثانية - ولكنها كانت تسوّى بصورة مرضية . وهكذا سار الحلف الديمقراطي وانتهى بسحق النازية وبمجموعة من القرارات اتخذها ممثلو الدول الثلاث تتجلى فيها روح الوئام وتعمل على ضمان سلم عالمي دائم .

انتهت الحرب ، واصبحت المشكلة هي مصير هذا التعاون وهل يمكن استمراره فى الآونة الحاضرة . ولكن الحقائق لم تدع مجالا للبحث ، فقد ظهر اختلاف بين وجهة النظر الأنجلواميركية من جهة والاتحاد السوفياتي وبعض الدول من الجهة الاخري . واخذ الجانب الاول يضع العراقيل فى سبيل استمرار هذا التعاون . وكان ذلك نتيجة لرغبة بعض الدوائر الامريكية والبريطانية ذات النفوذ فى ايقاف العمل التعاوني بين الحلف الثلاثي اثناء الحرب . اتضحت هذه الرغبة فى الاستخفاف بالمبادىء التي تضمنتها مؤتمرات الحرب الاخيرة بحق تقرير المصير والمساواة بين الدول فى سبيل ضمان سلم عالمي . واخذت سلطات الاحتلال البريطانية والامريكية تهمل تنفيذ مقررات مؤتمر برلين فيما يختص بالمانيا . وبدأت محاولة استغلال منظمة الامم المتحدة لاغراض غير التي اتخذت بالاجماع فى ميثاق سان فرنسيسكو . وأبرز ما فى هذه المحاولات عزل الاتحاد السوفياتي عن ميدان العمل الدولي وابعاده عن المشاكل العالمية الهامة .

وما هذه الاتجاهات الجديدة الا انعكاس لما تعانيه السياستان الامريكية والبريطانية من ضغط شديد تفرضه الدوائر الرجعية فيهما . فما كادت تنتهي

مشكلة القضاء على النازية حتى اخذت القوى الرجعيـــة التي تعمل على تحقيق مطامع ذوي المصالح فى الدولتين بالظهور. هذه القوى الرجعية التي تتعطش الى الربح ولو كان ثمرة دماء الشعوب ، والتي لا تستطيـع الحياة اذا طبقت الاساليب الديمقراطية فى السياسة العالمية . ان جشع هذه الفئات الاحتكارية لن يقف عند حد، ولذلك فالعـالم يشهد تكتل تلك القوى وعما ولنها السيطرة على ادارة شئونه . وما زالت هذه العناصر الرجعية تطـالب حكوماتها بالعمل على هذا النهج السياسي الجديد واستعمال كافة الوسائل الممكنة لفرض ارادتها على غيرهـا من الدول والشعوب .

هذا الطابع الصحيح لمطامع الرجعية العالمية فى بسط سيطرتها على العالم هو الذي يهدد السلم العالمي . وقد اوضح التاريخ مدى الخطر الذى تتعرض له الانسانية اذا انساقت لأهواء هذه الفئات الرجعيـــة وتركتها تتحكم فى السياسة العالمية . ان الشعوب التي ذاقت مرارة الكفاح ضد النازية والتي مازالت جراحها تنزف الدماء، لن تستكين لما يهدد حريتها واستقلالها . انها لن تقبل استبدال سيد بسيد ولن ترضى الحياة تحت كابوس الرجعيين واستغلالهم. ان سياسة السلم الصحيحة هي التي تنـال تأييد الشعوب ، وهي السياسة التي تعترف باستقلال الشعوب ومساواتها. اما الاطماع والادعاءات الرجعية فهي اجرام فى حق الانسانية ومعول هدام لصرح السلم العالمي. ان مؤتمر القرم يعتبر تعاون الدول فى المحافظة على سلم دائم عهداً مقدساً يجب ان تدافع عنه دول العالم وشعوبه المحبة للحرية. واما اولئك الذين يحاولون الخروج على ذلك العهد المقدس فعليهم وحدهم تقع المسئولية وهم دون غيرهم سيتحملون جريمة ما يتبع ذلك من دموع ودماء .

اما الاتحاد السوفياتي فسيبقى على ولائه واخلاصه لسياسة السلم العالمي القائم على الصداقة والمساواة بين الشعوب . وسيظل الاتحاد السوفياتي فى طليعـــة الشعوب المحبة للحرية والمناضلة فى سبيل سلم دائم .

تتمة على باب سجن ابي العلاء

اشعاره صعبة معقدة لفظيا ومعنويا فيرد عليه الرصافى ان كـان ذلك حقيقـة فان الذنب في ذلك ليس ذنب ابي العلاء بل هو ذنب العلماء والفقهاء الذين يفهمون مايقول وانت اذا قرأت هـــذا الـكتاب وجدته لا يخرج عن امر واحد الا وهو فهم جديد لابى العلاء يختلف اختلافا كليا عن فهم الدكتور طه حسين في كتابه مع ابي العلاء في سجنه. وذلك امر طبيعي بـين الناس فلك كل الحرية بان تفهم الاشياء كما تريد وان تفسرها تفسيراً معقولا ان كان تفسيرك منطقياً .

يختلف الرصافي وطه حســين فى امور كثيرة وكل هذه الاختـــلافات ظاهرة في كتاب على باب سجن ابي العلاء . ومن هذه الاختلافات اعتقاد الدكتور طه حسين ان ابا العلاء سافر الى بغداد حاملا معه بعض مؤلفاته بينما يعتقـــد الرصافي ان ابا العلاء وضع كل مؤلفـاته المشهورة بعد رجوعه الى المعرة تاركاً بغداد ناقماً على الانسانية ساخراً بالطبيعة البشرية .

ليس لي الآن ان اقرر ايهما على صواب بل انني اعتقد بان كل ما بني على فكـرة ما يمكن ان يضعف امره بفكرة اخرى . على ان اراء الرصافي فى كتابه جديرة بكل تقدير واحترام .

وان خيرا من فكرة الرصافي وخيرا من فكرة طه حسين الحقيقة التي تخرج من خـلال جدلها وتناظرهما . والتي كان (لدار الحكمة) في بغداد فضل ابرازهـا بنشر كتاب «على باب سجن ابي العلاء» الـكتاب الذي يجدر بكل شاب مثقف ان يطلع عليه .

ثورة العامة فى بغداد

نحن الان في بغداد فى سنة ٣٦٢ هـ في خلافة المطيع لله الذى لا يملك من الامر شيئا لان بغداد عاصمة الخلافة وقعت في حصة احد الامراء البويهيين فهو صاحب الامر والنهي فيها وليس للخليفة الا الدعاء على المنابر ... وذلك الامير البويهي هو عز الدولة بختيار الذى كان من حيث القوة الجسمية رجلا ايدا يصرع الثور العظيم ولكنه كان منصرفا عن النظر في امور الدولة الى الصيد والاكل والشراب والتلهي بالنرد وتحريش الكلاب والديكة ، ملقيا العبء الثقيل على كاهل وزيره ابي الفضل العباس بن الحسين . ولم يكن ابو الفضل خيرا من سيده اذ لم يكن الوزير في تلك الايام اكثر من زعيم اقطاعي يهبه الامير عند تولي الوزارة الاقطاعية والضياع وعليه ان يرضي سيده ويوفر عليه الاموال وان يرضي من دونه وخاصة طبقات الجند .

وكان الجند قسمين : الديلم والاتراك وبينهما منافسة ولذلك كان موقف الوزير حرجا وحاجته الى التدبير والتحيل شديدة . وكثيرا ما كان يعجز عن القيام بذلك وحده فيحتاج الى من يشد ازره في تدبير امر الاموال ويعين الى جانبه رجلا محصلا يسميه «المدبر» وكان هم الوزير او المدبر ان يجد الاموال بكل الطرق الممكنة فله ان يصادر العامة او يأخذ القروض من الاغنياء وله ان يحتال على من يظن فيه الغنى حتى يستخرج امواله ، هذا للامير اما للجند فكان الوزير يترضاهم بالمنح وبالاقطاعات والا فهم في شغب شاغب وتحفز لثورة ... وكانت طبقة الجند تدل باهميتها وتقترح وتعترض ولذلك كان لابد من اجتلاب رضاها بزيادة الاجور دون تمييز بين ترك وديلم . وكثيرا ما كان الوزير يمعن في اكرام الجند ويتبسط لهم ويجحف على الناس ليهيء للجنود رواتبهم حتى يثبت في مركزه ويطيل عمر وظيفته .

فكانت دولة بختيار في الظاهر تنعم بالبذخ والتبذير وانطلقت ايدي القائمين عليها بالصلات والنفقات والخلع ولكن هذا كله كان على حساب الطبقات الفقيرة التي كانت نقمتها تغلي ولا تجد لها متنفسا لاعتماد الامير ووزرائه على المرتزقة . ولم تكن النقمة امرا حادثا ولكنها تمتد الى الوراء سنين كثيرة كانت تلك الطبقات البائسة فيها مطية لكل راكب فما جاءت سنة ٣٦٢ هـ حتى كانت عواطف العامة مرهفة حادة وحتى كان البركان المتضرب في النفوس على اهبة الانفجار ... حتى الوزير ابو الفضل كان يتذمر الى اميره من زيادة خرج المملكة على دخلها بعد ان صادر ما صادر وبعد ان استنفد جهده في ارضاء الجنود وفرض على الولاة في النواحي ضرائب ثقيلة ... واخذ الخطر الخارجي يهدد البلاد ... فوصل الروم نصيبين واحرقوا وقتلوا وفر الناس من وجوههم الى بغداد يستصرون اهلها فادرك اهل بغداد ان الخطر يمشي اليهم ما دام اميرهم ليس في نفسه ادنى حماسة لان يقف في وجه العدو المهاجم ووجد العامة المظلومون هذه الحوادث فرصة سانحة ليظهروا احقادهم فتجمعوا من جميع النواحي واعلنوا الثورة في بغداد كل هذا وبختيار في الكوفة لاه يتصيد

وحاول بعض الوجهاء ورجال الدين في بغداد تهدئة الخواطر ووعدوا العامة بالخروج الى الكوفة ومقابلة بختيار وحكاية الحال له فطابت نفوس العامة بعض الشيء وتفرقوا .... وفي انفسهم ان يعودوا الى الثورة . اما العلماء والوجهاء فذهبوا الى الكوفة يعرضون امرهم على بختيار فلما وصلوا الى الكوفة وجدوا بختيار في الصيد فانتظروه حتى عاد ثم استأذنوا عليه فلم يلتفت اليهم ولا اكترث لهم ، وكان وافر الحظ من سوء الادب قليل التحاشي من اهل الفضل والحكمة ، ثم الحوا عليه بان يأذن لهم ففعل ودخلوا وجلسوا في حضرته كيفما اتفق .

فتقدم الجماعة ابو بكر الرازي فحمد الله واثنى عليه وذكر بختيار واجبه في شيء من اللطف وحذره الفتنة الداخلية والخطر الخارجي قال « وقد جئناك نحقق عندك ما بلغك من توسط هذا الطاغية اطراف الموصل وما والاها وان الناس قد جلوا عن اوطانهم وفتنوا في اديانهم ... للرعب الذي اذهلهم والخوف الذى هالهم وانما هم بين اطفال صغار ونساء ضعاف وشيوخ قد اخذ الزمان منهم فهم ارض لكل واطيء ونهب لكل يد .... وشباب لا يقفون لعدوهم لقلة سلاحهم وسوء تأتيهم في القراع والدفاع » . ثم قام بعده على بن عيسى فقال « ايها الامير ان الصغير يتدارك قبل ان يكبر فكيف يجوز ان لا يستقبل بالجد والاجتهاد .. خذ بايدينا بقوتك وحسن نيتك وحميد طويتك وعزك وسلطانك » . وتعاقب الخطباء وبختيار

مطرق يسمع ما يقولون. ثم رفع رأسه وتكلم لهم فذكر انه غير راض عن تقريعهم اياه وتنديدهم به وما هو بغافل عما دهم البلاد وانهم بعملهم ان يريدوا الا ان يكسبوا شهرة وفخارا ويقول الناس لقد قدروا على ان يوبخوا السلطان ثم قال: «وانكم لتظنون انكم مظلومون بسلطاني عليكم وولايتي اموركم كلا ولكن كما تكونون يولى عليكم هكذا قول الشريعة فينا وفيكم .....»

وأخذ بعدئذ يقرع ابا بكر الرازى ويحرجه امام الجماعة فقال «ايظن هذا الشيخ ابو بكر الرازى انني غير عالم بنفاقه ولا عارف بما يشتمل عليه من خيره وشره. يلقاني بوجه صلب ولسان هدار يرى من نفسه انه الحسن البصرى يعظ الحجاج بن يوسف او واصل بن عطاء يأمر بالمعروف او ابن السماك يرهب الفجار، هذا قبيح»

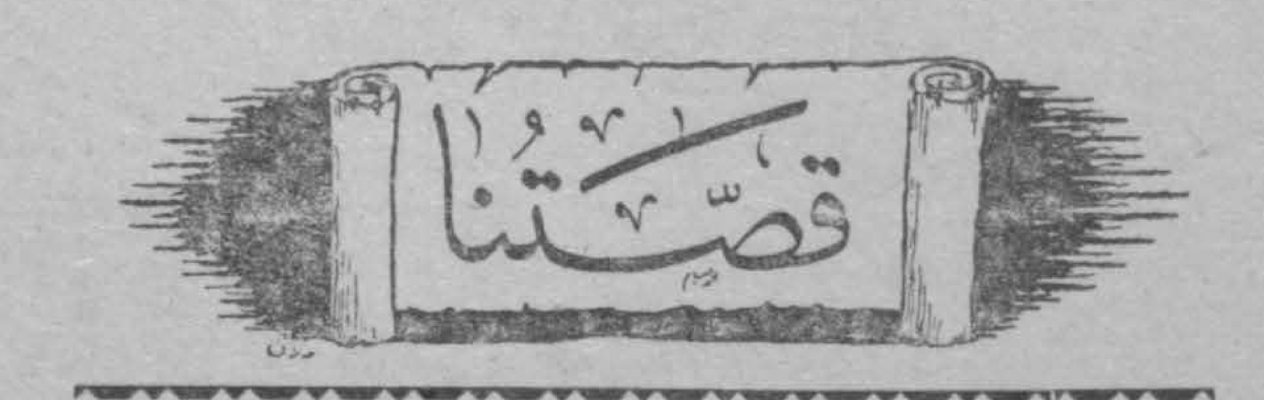
فانصرف الناس مغمومين لما لحقهم من اهانة ولاشك انه ظهرت عليهم امارات الخيبة عندما عادوا الى بغداد وزاد سخطهم في سخط العامة فى هذا على ان بختيار وعدهم ان ينظر في الامر ويتأهب لقتال الاعداء وبعث بختيار الى الحاجب سبكتكين في بغداد يطلب اليه استنفار العامة الى القتال فتنادى الناس النفير النفير وا اسلاماه، واحمداه وهبوا الى اسلحتهم غير متلكئين وبذلك برهنوا على انهم كانوا الى جانب الخير ولكنه كان من الصعب اخضاعهم لنظام ووجدوا في الحاجب سبكتكين عجزا عن ضبط النظام فانتهزوا الفرصة وبدلا من ان يسيروا الى مقاتلة الروم اشعلوا الثورة في بغداد واشتعلت العواطف المكبوتة واخذ العامة يطفئون حقدهم السكمين بالدماء وولوا عليهم من بين صفوفهم زعماء. تدل اسماؤهم على انهم كانوا من ادنى الطبقات مثل «اسود الزبد» «وابو الارضة» «وابو النوايح» «وابو الذباب» «وابو الدود» ... وغيرهم واصبح فى كل محلة من محلات بغداد رئيس او اكثر يسوس الناس لما يريد ويقودهم الى الحرق والهدم والنهب.

كانت الثورة جارفة خربت كثيراً من الدور واصبح العامة لا يفرقون بين غني وفقير ولا بين من هو من طبقتهم ومن هو من غيرها وانضم الى صفوف العامة الجند من الاتراك لأن بختيار كان عاجزا عن ان يرضيهم وسار الفريقان معا في محلات بغداد يخربون وينهبون وصادفوا فى طريقهم رئيس شرطة بختيار فقتلوه لانه كان قد قتل واحدا من العوام فتسلم الشعب جثته فقطعوها تقطيعا وانتزعوا اقلبه وكبده وجوارحه فجروا الاشلاء الى النار فحرقوها ثم سمعوا ان رئيس الشرطة الجديد قتل احد العامة في سوق النحاسين في الكرخ فهاجموه وقاتلوه فاحرق الكرخ واحصى ما احترق فكان (١٧٣٠٠) دكان وعشرين دارا وتدفق سيل الثائرين في شوارع المدينة فكانوا كلما وصلوا سجنا فتحوا ابوابه وهدموا حيطانه واخرجوا من فيه من المسجونين وازداد تعصب العامة وهياجهم لما حاول بختيار ان يحقق في مقتل رئيس الشرطة وزاد هذا في توحيد صفوف العامة والجند من الاتراك فلما رأى بختيار ان الامر يكاد يخرج الى اشنع مما صار تغاضى عن المسألة. ثم تولى الشرطة رجل اخر فاخذ يهدي العامة حتى خمدت الفتن ولكنه اخذ يتعصب لأهل السنة فعادت الفتنة من جديد اعظم مما كانت وثار الشيعة ببغداد وعاد القتل والنهب وظهر للناس عجز السلطان ورجاله بوضوح.

وكان بختيار لا يحاول ان يصلح شيئا وقد اناط الامر بوزيره ابي الفضل الذى نفدت حيله في جمع الاموال من الناس وتوجه الى طلبها من ناحية اخرى فاوعز الى بختيار ان يطلب مالا من الخليفة المطيع لله لان من الواجب على الخليفة ان يساعد في رد الغزاة من الاعداء. وكان جواب المطيع حاسما مؤثرا يدل على الحالة البائسة التي كان قد بلغها الخليفة. فقد قال فى جوابه «الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدى والي تدبير الاموال والرجال واما الان وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفائي وهي فى ايديكم وايدي اصحاب الاطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه وانما لكم مني هذا الاسم الذى يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم فان احببتم ان اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار ايضا وتركتكم والامر كله»

غير ان بختيار لم يقنع والح على الخليفة وخرج اخيرا الى التهديد فباع الخليفة بعض ثيابه واثاثه وقدم الى بختيار اربعمائة الف درهم وشاع بين الناس يومئذ ان الخليفة قد صودر وزاد ذلك فى توتر العواطف واحتداد الغضب على بختيار. غير ان دراهم المطيع لله لم تحل المشكلة فعمد الوزير ابو الفضل - ليسد رواتب الجند والحاشية والاتباع - الى مصادرة العامة - في ذلك الظرف الذي كان العامه فيه اكثر شي غلياناً. وكان ذلك سوء تدبير منه وغفلة واستهتاراً اذ كان هو احوج الى استرضاء العامة منه الى استثارة غضبهم وبث جواسيسه بين الناس واجزل لهم العطاء فاخذوا يحصلون الاموال ويغتصبون التجار فضج الناس على اختلاف اديانهم ومذاهبهم لهذا العمل ودعوا على الوزير ورجاله في معابدهم واشتط العامة. وقد احرجهم عمل الوزير - وخرجوا في التخريب عن الحد المعقول فخربت الاسواق وتجرأوا على كل شي وحينما

(البقية على صفحة ٢٣)



كنوز الفقراء

للمرحوم: عمر الفاخوري

بقرة، وليست كالبقرة ضخامة جسم، بل هي اقرب الى العجل الصغير. تلمع عيناها في الليل البهيم كأنهما جمرتان او نجمتان. مسرجة بالذهب، نعالها وخلاخلها من ذهب. وعلى ظهرها عدلان ملئا بالدر والياقوت والحجارة الكريمة. تجيئك في ساعة متأخرة من الليل فتناديك قائلة:

— تعال يا فلان وخذ نصيبك!

فلاتخف ولا توقظ احدا من اهلك النيام، تقدم نحوها رابط الجأش وانزع نعالها وخلاخلها وسرجها، وافرغ العدلين من كنوزهما، ثم املأهما بما تيسر، والافضل ان تجعل في احدهما خبزاً وفي الآخر ملحاً: علامة المودة والشكران. فهي تمضي في سبيلها تاركة في دارك الذهب والدر والياقوت والحجارة الكريمة. طوبى لك فانت الغني السعيد!

... وفي النصف الاخير من القرن الثاني عشر للهجرة زارت البقرة «حاملة النصيب» جدة والدي السيدة صفية وكانت، رحمها الله، «سبعينية». فسمعت طقطقة النعال ورنين الخلاخل على درجات السلم، فنظرت من ثقب الباب الموصد عليها في حجرتها، فرأت البقرة المذهبة تخطر في باحة الدار، وعيناها تضيئان كأنهما جمرتان او نجمتان، وهي تنادي بصوت اشبه بالخوار:

— تعالي يا صفية وخذي نصيبك!

اما المرحومة فجمدت في مكانها معقودة اللسان. واما البقرة فقد نادتها ثلاثاً ثم انصرفت كالمستكبرة، انفة من هذا الجبن الشديد الذي ما عليه من مزيد! ولكنها انتقمت منا بان تركت على احدى درجات السلم نعلا من نعالها الذهب، دليلا على الثروة التي لم تمتد يد لأخذها، وباعثاً على الحسرة الدائمة. ويُروى ان جدتنا قالت اذ انطلق لسانها هذه الكلمة المأثورة: «الشحادة، ولا السعادة!»

وهكذا كنا ولم نزل فقراء، عزاؤنا الوحيد، بل عزائي انا وحدي هو اني كدت في النصف الاخير من القرن الثاني عشر للهجرة اكون، في ظهر الغيب، غنياً، فاذا لم اكنه فذلك لان جدتي السيدة صفية، عليها رحمة الله، ما ارادت...

بهذا وامثاله كنا نتسامر في احدى ليالي الشتاء ونحن، كباراً وصغارا، جلوس حول الكانون صديقي المونس المحيي الامين، وبغتة شهدت في هذه الغرفة الصغيرة، كيف تخلق دنيا غير دنيانا يقطنها اقوام غير اقوامنا، دنيا عجيبة ملأى بالارواح الخيرة والشريرة، تفيض منها على دنيانا الاعاجيب، وفيها يجد العامة تأويل كل الاسرار. وأحسست كأن هذا الجو الذي كنت احسبه مهجوراً هو على الضد من ذلك مأهول لا تكاد تجد فيه، من شدة الزحام، شبراً واحدا لم يحله جني او عفريت.

وليس اعجب ولا ابلغ دلالة من الصلة التي جعلها العامة بين عالمنا وذلك العالم، أأقص عليك قصة «الداية» التي دُعيت ليلا الى امرأة في الوضع، فاعترضت سبيلها سيدة محجبة سألتها ان تشعل لها شمعتها المطفأة، فلما تناولت الشمعة من يدها اختفت السيدة بين الارض والسماء، ونظرت الداية فاذا الشمعة «اصبع مخضوبة بالحناء»؟

ام اقص عليك قصة الرجل الصالح الذي التقى ذات ليلة بالجنية العروس، المحلاة بالذهب من قمة رأسها الى قدميها، فقالت له: عرّني من ثيابي وهي لك! فلما ذكر انه ينبغي ان يخلع عنها كل ثيابها وينظر اليها وهي عارية، حول بصره لانه لم يكن امرأ سوء، وقال لها: استتري يا اختي:.. استتري! ثم انصرف، لم يغنم ولم يأثم؟

ام ماذا اقص عليك؟ لقد انتقلنا من اسطورة عجيبة الى اسطورة اعجب، ومن اقصوصة جميلة الى اقصوصة اجمل، حتى خيل اليّ ان ليلتنا هذه ليلة «شاردة» من طرفة الشرق الكبرى، اعني كتاب الف ليلة وليلة... واخذت افكر فيما فكرت فيه من قبل اذ كتبت «الباب المرصود».

ليس خلق عالم على هامش عالمنا هذا، او تصور وجود غير هذا الوجود العادي، وقفاً على وحي الانبياء وخيال الشعراء. فان للعامة في هذا الخلق والابداع اليد الطولى، بل لعل الانبياء والشعراء يستقون

من هذه الينابيع التي لا تفتأ تفيض في كل عصر ومصر، ولا يغيض ماؤها ابداً: الآداب العامية. فاذا كان في الامر بعض الشك، فان الشعوب، بالاقل، تلتقي مع انبيائها وشعرائها في صعيد واحد لكفاية الحاجة الانسانية العامة الى الخوارق والاعاجيب، اي الى كل ما هو «في خارج» هذا العالم ونواميسه المعروفة وحقائقه المألوفة. وان فى الآداب العامية او «الفكلور» كما يسميها الافرنج لطرائف شائقة ممتعة غزيرة المعاني، سواء الاقاصيص والامثال ام الاساطير والعقائد، توفر على العناية بها، جمعاً وترتيباً وتأويلا، كثير من اختصاصيي الغرب، اعتقاداً انها فنون غير الفنانين وآداب غير المتأدبين ودواوين غير الشعراء، لا يتجلى فيها الروح القومي فحسب، بل تترجم من جهة ثانية عن النفس الانسانية على اطلاقها. فهي كالبقرة المسرجة بالذهب تحمل كنوز الفقراء.

... واسرّت اليّ اكبرهن سناً قولها:

— هل تعلم لماذا أورثت فلانة بنيها (وذكرت اسرة معروفة فى البلد) سوقا برمتها هي السوق الفلانية؟ ذلك لان البقرة زارتها فاخذت منها نصيبها ... والا فمن اين لهم هذه الثروة الطائلة؟

وقالت اصغرهن سناً وفى عينيها الخوف والرجاء:

— اذا جاءتني البقرة، هذه الليلة، ونادتني: يا سلوى، قومي وخذي نصيبك! فسأقول لها من تحت اللحاف: يا بقرة انا اخاف لاني صغيرة، فضعي نصيبي على عتبة الباب، ارجوك!

ولكن ام سلوى ضمت صغيرتها وعوذتها قائلة:

— بسم الله الرحمن الرحيم!

تتمة صور من الحياة

يسيروا جميعا لا راكب ولا مركوب حتى يصلوا حدود القرية المنشودة، وعندها يعتلي الفارس صهوة جواده ويدخلوا البلدة معززين مكرمين. ونفذ صاحبنا الخطة المرسومة باحكام ولكن الحيوان اللعين ابى ان يوصله المضافة راكبا فاقعى على خطوات من بوابة المضافة. وهب الصراخ وهرع القوم يعاونون الفرس والفارس على الوقوف. وفشلت مساعيهم فانقذوا الفارس وخلفوا جواده باركا في مكانه. ومع كل هذا وذاك فقد كان حديث الجواد وارجاع نسبه الى فصيلة «كبيشان» العريقة بين فصائل الخيل حديث صاحبنا ومدار بحثه. وعادا بعدها الى القرية بعد ان خلفا الجواد في القرية الاخرى طعاما للكلاب والوحوش.

واود - ولو كان فى ذلك بعض الاطالة - ان اروي حادثة اخرى من حوادث فارسنا المغوار. ضاقت به الدنيا وضاق بها. ولم يجد ارضا يستأجرها في القرية بل لم يجد بين سكانها من يؤجره ارضه. فيمم شطر البادية واستأجر قطعة من ارضها تنوف على مئة فدان زرعها ذرة. ولما حان موعد قطافها عنت على باله فكرة هي ان يصحب راويته لزيارة الزرع وتخمينه قبل البدء في جمعه. ولما وصلا الارض - ولم يعرفاها الا بعد ان قدم الدليل يعرفهم بها وبحدودها - بادره «ابو خالد» يطلب تخمين منتوجاتها. وخشي «ابو حنتحت» من ذكر الحقيقة ولم ير بدا من ان يقول انها تنتج عشرين قنطارا وان كان في سريرته يعتقد انها لن تأتي بقنطارين. ولكن هذا الرقم لم يرق في عين «ابو خالد» فانهال على راويته بالشتائم وصاح به «يا غشيم» ... انها تساوي اكثر من مئة قنطار.. ولم يكن في حول الراوية الا التأمين على ما سمع لئلا يدخل في نقاش وشجار لا يجدي ولا طائل فيه. ومر اسبوع جهز فيه «ابو خالد» حملة من اهله ومعهم راويته ليعملوا في قطاف الذرة وما ابتدأت العملية الا وقد ثارت ضجة ملأت الفضاء. انها معركة نشبت بين «ابو خالد» وولي عهده الكريم على صلاحية ايهما واحقيته فى التمنطق بذلك السيف الاثري الذي يحلي صدر بيتهم ويتقلده «المعلم» اثناء الحصاد. واشتد الخصام وتقاذفا الشتائم وبدأ صراع مرير لولا تدخل الراوية وحنكته فى فض النزاع لأودى بحياة احدهما او كليهما. وانتهت عملية الحصاد بسلام، فقفل بعدها «ابو خالد» الى القرية يحمل نتاج عمله في ذلك العام وقد كان مئة كيلو او ما يزيد عنها بقليل. اما احلامه بالقناطير فقد طارت ولحقت بما كان لديه من تفكير. وما وصل البيت وكان اليوم قيظا من ايام تموز الا وقد اغمي عليه. وقام راويته بالمهمة الملقاة على عاتقه فانعشه بالماء يسكبه على وجهه وحمله الى داخل البيت لينام قرير العين هادىء البال بثمرة اتعابه.

ويضيق المجال بذكر المئات من حوادثه، ولكنها جميعا لا تخرج عن هذا النطاق الذي مثلت عليه.

هذا هو «ابو خالد» فارس القرية، وعلمها الخفاق.. صورة حية تنطق بما يعانيه ذلك النوع من الناس من آلام. اما مرد هذا كله ففترة الانقلاب التي ربطت صاحبنا بالسيد فى المدينة وقادته الى جحيم الفقر والافلاس. ولعله لا يشعر بذلك او لا يريد ان يشعر به ويجرع كأس مرارته فيحيا في عالم من اوهامه واحلامه.

انها صورة لانسان. وتصوير صحيح لما هو فيه، هو وعائلته من جحيم يغطيه ثوب فضفاض من خبوله وهستيريائه.

رسالة من اوروبا

الدكتور صبحي شراب يحدثنا من برسلاو

بينت لكم في رسائلي السابقة كيف ان بريطانيا لعبت في فلسطين دوراً سياسيا كان اليهود نتيجة له اهون الضحيتين اذ اوهموا بانه سيبنى لهم في هذا البلد العربي وطن قومي وهي اوهام فقط ، اذ يكفي للمرء ان يضع خارطة الشرق امامه ويرى موقع فلسطين الجغرافي بالنسبة لسواها من البلاد العربية . ففلسطين ليست قلب البلاد العربية والجسر الذي تمر عليه اهم طرق مواصلاتها فيما بينها فحسب بل هي باب تلك البلاد ومفتاحها ، وعليه فان في فصلها اوفصل اي جزء منها صغر فيها خطر واي خطر يهدد العرب وبالتالي يهدد سلامة وطمأنينة بلاد الشرق الاوسط باجمعها . ولن يمكن لليهود في يوم من الايام حفظ كيانهم بايديهم هناك كامة فمن الضروري اذن ان يكونوا على الدوام تحت رحمة ومساعدة قوى اجنبية اخرى . فليس من العجب ان يرى العرب في اليهود سببا لحفظ او بقاء الدول الاجنبية في بلادهم وهذه هي المسألة الرئيسية التي من اجلها تجاهد البلاد العربية لحفظ كيان مصر والجزيرة وبلاد الرافدين متعلق رأسا بدره هذا الخطر . فالصهيونية ليست اذن الا وسيطة لغاية وضفتها السياسة الانجليزية وقد تتبعها السياسة الامريكية . من اجل ذلك لا بد ان اريد حل المشكلة الفلسطينية ان تتنحى الصهيونية الاستعمارية عن مد اصبعها وان توقف الهجرة اليهودية وتعطى فلسطين استقلالها فينشأ نظام ديمقراطي يضمن لجميع السكان على السواء ذات الحقوق المدنية وان يعمل على الفور على دمج فلسطين كسواها من شقيقاتها في جامعة الدول العربية .

والمعتدلون من اليهود يعرفون ذلك كما انهم يعلمون ان لفلسطين قدسيتها لا في قلوب ٦٥ مليون عربي فحسب بل فى قلوب ٤٠٠ مليون مسلم و ٥٠٠ مليون مسيحي ينظرون الى فلسطين مولد السيد المسيح وبلد القبر المقدس، ولكنها خدع السياسة ووسائل المستعمر هي التي تلعب دورها الذي يحز في قلوبنا وينكد عيشنا .

ولم تكن البلاد العربية والشعب اليهودي الا مثالين من الوف الامثلة التي تبين لكل ذي عين كيف ان انكلترا لاتبالي ان ترمي الى مذبح سياستها امما وشعوبا رغبة منها بالاحتفاظ بجبروتها وصون عزها ونعيمها ، وهي عندما خاضت الحرب ضد المانيا او اليابان ادعت بانها تقوم بذلك حفظا لكرامة الضعفاء وشفقة على من يهددهم خطر الجور الالماني او الياباني والواقع هو غير ذلك والا فبأي حق وباي منطق تمتلك بريطانيا جبل طارق او مالطا او مدخل قنال السويس ومخرجه او رأس الكاب او نقطا اخرى ومستعمرات في افريقيا او جزراً ومستعمرات في المحيطات الاطلسي والهندي والهادي على ابواب دول مستقلة كالارجنتين واليابان بل والولايات المتحدة نفسها ؟ ! والناس لا يرون ذلك وليس منهم الا النادر ممن يدركون كنه الحقيقة فيغترون بالظاهر ويعتقدون بخدع السياسة . فكثير منهم ليس في بلادنا فحسب بل في اوروبا وامريكا يرون في النظام الامريكي والديمقراطية الانجليزية المثل الاعلى لخير البشر مبررين عقيدتهم هذه بالمقارنة بين عيش الانجليز فيقولون بانهم لو امتلكوا نظام الانجليز وديمقراطيتهم لعاشوا كما يعيش هؤلاء في بلادهم . اما ان الشعب الانجليزي ينعم فوق الانعام فهو امر لا جدال فيه ولكن اهي الديمقراطية التي هيأت لهذا الشعب تلك الدرجة المرتفعة من الحياة ؟ هذا ما سأفسره لكم الآن :

فى الجزر البريطانية نحو من ٤٠ مليون نسمة يمتلكون من بقاع الارض نحو نصفها فيسيطرون بذلك على ما يزيد عن ٥٠٠ مليون نسمة . ترى هل تساءل المعجبون بالديمقراطية الانجليزية كيف يعيش هذا الغفير من الناس تحت ظل هذه الديمقراطية؟ اسأل نفسك او اسأل فلاحنا وعاملنا وصانعنا ، اسأل الهنود عنهم يعطونك ايضاً نفس ما خبرته بنفسك على جلدك وبين مواطنيك : جهل لا حد له ولا نهاية ، وامنية ما يزيد عن ثلاثة ارباع السكان في عصر العمران والمدنية ، وفقر مدقع لا وصف له ، وانحطاط صحي وتدهور خلقي وعلمي ، اطفال عراة حفاة سدت في وجوههم المدارس ، ونزاع داخلي مؤلم اوهن فى الناس قواهم ، وشباب يضيعون اوقاتهم فى الشوارع والمقاهي فى فى بلاد لا تعبأ اليد الحاكمة فيها بتدريبهم وتعليمهم فى حقل الحرفة والاختصاص والعمل ليرفعوا منزلتهم ومنزلة مواطنيهم فيقال فيهم اخيراً بانهم كسالى يجب ان يسيطر عليهم ، وهو مكر لئيم وحكم جائر خال من كل عدالة وصمهم به المسيطر وهو السبب . هذا هو حال البلاد التي قذف بها سوء الطالع فى لهب الحكم الذي ابقاها فى درجة مؤلمة من الانحطاط في كل ناحية من نواحي الحياة .

هذه كلمة عجلى اقولها ولا اذكر فيها ما سرده علي عمرو او زيد فلقد شاهدت ذلك كله بعيني وخبرته بنفسي . تلك هي الديمقراطية كما يراها الانجليز . يزيدون في مشاكل الشعوب المسكينة ويستهلكون ثرواتها ويستأثرون بمواردها فيرهقون بذلك ما ينيف عن ٥٠٠ مليون من البشر ليعيش اولئك الاربعون مليوناً في البلاد المعروفة ببريطانيا في نعيم وعز ورفاهية ، وبعد كل ذلك تتشدق الدعاية الانجليزية صارخة لحماية الضعيف وصون كرامه الناس ، وكان يكون الناس جميعهم بخير لولا هذه الالاعيب وتلك الديمقراطية .

ولم يكن دهاء الانجليز مقتصراً على البلاد التي سيطروا عليها بل على بلاد كثيرة مستقلة كل الاستقلال لها قواتها ويمثلوها الدبلوماسيون في ارجاء الارض كهولندة والبلجيك والدانمارك والنروج والسويد وفرنسا (الى وقت غير بعيد) وبلاد الشرق المستقلة وبلاد شرق اوروبا وان شئت فلا تستثن الولايات المتحدة الامريكية نفسها ، فقد نالت كثيراً من بلاد غرب اوروبا مثلا بتعضيد بريطانيا لها مطالباً استعمارية كثيرة (هولندة بلجيكا فرنسا) فتكلفت هذه وجاراتها نتيجة ذلك عن طريق غير مباشرة طبعاً . ان تكون السور الذي يحمي الجزر البريطانية اذا ما آن اوان الشد وقد رأينا كيف ان هذا السور تحطم وتهشم امام العدوان الالماني فذهب ضحية رخيصة في سبيل خدمة الامبراطورية الانجليزية . وان تعدينا هذه البلاد شرقا الى ما وراء المانيا فاتينا الى بولندا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا ثم الى بلاد البلقان نجد كيف ان حاجة الامبراطية دعت الى تكوين سور آخر من هذه البلاد على جانبيه قوتان هائلتان خافتهما بريطانيا لخطرهما في الوصول الى الصولة الانجليزية في البحر الابيض المتوسط وفي وسط اوروبا ثم الى انجلترا نفسها، ومثلما تحطم سور غرب اوروبا على مذبح السياسة الانجليزية تحطم هذا السور ايضاً خدمة للامبراطورية الانجليزية وحفظاً لها . سر معي بعدها الى بلاد الشرق المسكينة ودعنا نسير الهوينا ازاء السور الثالث المتكون من بلاد الترك والعراق وايران وافغانستان والصين الذي فرض ان يحمي الامبراطورية البريطانية في آسيا من قوتي الشرق الهائلتين روسيا واليابان وقد رأينا كم قاست هذه البلاد وفي هذا السبيل حيث كانت ميادين حربية هناك وكل ذلك لحماية بريطانيا وخدمة لصاحب الجلالة .

تلك هي بريطانيا وتلك هي ديمقراطيتها توتر العلاقات بين امم المعمور لتشغل هذه عنها فاذا ما آن او ان الشد راحت تنفخ في بوقها داعية الناس لحمايه الناس امام (البعبع) الالماني او الياباني وربما الروسي ان السلم العالمي يتطلب امراً واحداً لا ثاني له وهو تجريد بريطانيا من مستعمراتها .

حول المكاتب العربية

ارسل المكتب العربي كتابا الى الى ادارة هذه المجلة يرد فيها على الارقام التي نشرتها المجلة في العدد (٢٢) ، وهو يقول ان اكثر الارقام التي نشرت مبالغ فيها . كما ينفي علاقة سبيرز بالمكاتب وينفي ان السيد موسى العلمي يتقاضى راتباً من المكاتب . والمجلة اذ تنشر هذه الارقام لا تتوخى الا المصلحة العامة وهي تطلب الى المكتب العربي ان ينشر ميزانية مفصلة مدعمة بالارقام تنويراً للرأي العام .

ويذكر الرد ان حسابات المكاتب العربية لم تكن سرا في يوم ما ، ونحن نود ان نسأل لماذا لا تنشر هذه الحسابات ما دامت غير سر ؟ اننا نصر على مطالبة المكتب العربي بنشر ميزانيته واذاعتها على الصحف والمجلات المحلية والعربية ، لان هذا من شأنه ان يعطي فكرة واضحة للشعب عن جهاز دعايته وتجعله يطمئن على كيفية تسيير هذه الدعاية ، كما انه يلاحظ نقاط الضعف فيها لاصلاحها وينبه المسؤولين عن مواطن الضعف حتى يتلافوه .

ان نشر ميزانية المكاتب العربية واجب وطني على المسؤولين ان لا يغفلوه ، وان يسارعوا في تنفيذه تلبية لرغبة الشعب وحرصاً على المصلحة العامة .

ثورة العامة في بغداد

تتمة المقال المنشور على الصفحة ١٧

ارسل اليهم ابو الفضل جيشاً كسروه وشتتوه .

لقد استشعر العامة بلذة الانتصار فلم تعد تخيفهم قوة السلطان - انهم انتصروا من عدة وجوه فبغداد اصبحت في ايديهم وزعماؤها اصبحوا منهم - ولم يكن ثمة من يتصور ان يصبح اسود الزبد مثلا وهو الرجل الفقير المتشطر الذي كان يتستر بخرقة لا تكاد تتماسك - رجلا آمراً ناهياً ممنوع الجانب يأتمر الناس بامره . لقد اصبح اسود الزبد زعيما شعبياً وندوت من امور كانت تظهر وكأنها من العجائب عند اهل ذلك العصر . فلقد اشترى مرة جارية بالف دينار فلم يرقها ونفرت منه وابدت له الكراهيه فقال لها ما تكرهين مني قالت اكرهك انت كما انت قال اذن فماذا تريدين قالت ان تبيعني قال وليس احسن من ذلك ان تذهبي حرة وتأخذي الف دينار ؟ وسرت الجارية عندما اعتقها اسود الزبد ووهب لها ما وعدها من مال وعجب الناس لتلك المكرمة كأنهم كانوا يستكثرون ان تصدر المكارم عن ابناء الطبقات الفقيرة لانها في عرفهم وقف على الكبراء .

وانتصر العامة انتصارا آخر فان السياسة الخرقاء التي ركبها الوزير ابو الفضل جعلت بختيار ينظر الى المسألة نظرة جدية فصرف أبا الفضل عن الوزارة وولاها رجلا آخر لم يكن من ابناء الطبقات الارستقراطية ولكن كان من العامة المتشطرين ذلك هو الوزير ابن بقية الذي اصبح ممثلا للعامة في الدولة فكيف استفاد العامة من هذه الانتصارات ؟ ؟

(التوحيدي) (للبحث صلة)

من اخبار

رابطة المثقفين العرب
في فلسطين

بيت جالا :

اقام فرع رابطة المثقفين العرب في بيت جالا في الساعة الخامسة والنصف من مساء الخميس حفلة تكريمية في ٥-٧-٤٦ للدكتور جبرا الاعرج ، الذي حاز هذا العام شهادة الطب من جامعة بيروت الاميركية . والدكتور جبرا الاعرج احد الشباب المؤسسين لفرع بيت جالا منذ عام ١٩٤٣ ، ومن العاملين باخلاص في سبيل رفع مستوى شعبنا الصحي والاجتماعي . وقد جرت الحفلة في قاعة مقهى (بنوراما) في بيت جالا وكان في مقدمة المدعوين سعادة رئيس البلدية وحضرات اعضاء المجلس البلدي ، وحضر الحفلة عدد كبير من آنسات البلدة وشبابها المثقف ووجهائها واعيانها . واحتوى البرنامج على سلسلة من الكلمات الترحيبية والخطب المتعلقة بنشاط الرابطة واعمالها ، القاها رئيس فرع الرابطة في بيت جالا وسكرتير اللجنة المركزية لرابطة المثقفين العرب في فلسطين ، وسعادة رئيس البلدية وسكرتير رابطة الخليل والمحتفى به الدكتور جبرا . واستمرت الحفلة طويلا ، وغادر المدعوون مكان الاحتفال وهم يثنون على مجهودات الرابطة في سبيل نشر العلم وخدمة ابناء الشعب

الخليل :

يقيم الآن بين اعضاء الرابطة بصورة دائمة الدكتور محمد شاور رئيس الفرع منذ تأسس ، والذي كان يسعى لتحصيل العلم في جامعة بيروت الامريكية . وقد عاد الآن حاملا شهادة الطب ، فنهنىء زملاءه اعضاء الرابطة بعودته ، ونهنىء اهل مدينته الذين سيلمسون اخلاصه التام في خدمتهم والتفاني في تحسين حالتهم الصحية .

حيفا :

جرى مؤخرا انتخاب جديد لاعضاء هيئة الرابطة الادارية . وقد فاز بالعضوية كل من السادة نصري عازر وصبحي عاقل والياس بحوث وسمعان مارينا وعصام عباسي . والرابطة جادة في تنفيذ مشاريعها واهدافها .

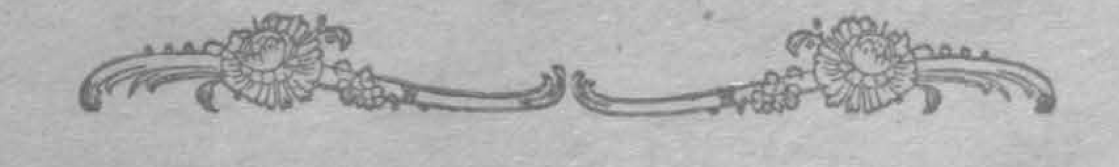
اهداء من الشاعر الى حبيبة

الخبز والملح

حين كان الزمان طفلا صغيرا تحت ظل من الخلود وجنح
مر يختال في الجنان ابو الخلق ويشكو هواه في كل دوح
والجمال العاري غرام ملح يسكب النار في الخيال الملح
ولحواء نفرة منه تغريه فيمسي على الهيام ويضحي
ونأى مرة فجاع فألقى جسمه بستريح في جنب سفح
ورأى القمح ناضجاً فجناه غير ملق بالا لنهي ونصح

آدم وهو جائع يتلوى باع جناته بحفنة قمح
هجر الخلد راضياً في رغيف يصهر الارض من جهاد وكدح
فارحموا الجوع ان عوى مستثيباً وعلى الفقر أشرعو كل رمح
كم رغيف لجائع هو ابهى من شروق الضياء في كل صبح
قصة الخبز عفرت بالخطايا من قديم دفجرت كل صبح
ووعتها العصور حتى استحالت الماً سرمداً وسورة برح
يحنث الناس بالعهود ولكن اصدق العهد عهد خبز وملح

«ابو إياس»



مطبعة دار الأيتام السورية - القدس

